١٠٦

روايات أحلام

على حافة الفجر

rayqh

www.fidas.com

liilas.com
rayqh

١ ـ عشاء مع قاتل

ظهر الرجل فجأة من خلف عمود في نهاية غرفة طعام الفندق المكتظة، وبدا في اتجاه نظر ليجي مباشرة. . كان طويلاً أسود الشعر، وسيماً كعادته، يرتدي بذلة أنيقة سوداء.

رفع يده ليفرقع أصابعه المعتنى بها جيداً، وقال آمراً:

ـ طاولة لشخص واحد.

ترقرقت عينا ليجي وهي جالسة منفردة في طاولة منزوية، غير مصدقة، وأحست أن الدم انقلب إلى ثلج في عروقها. .

لكنه ڤيكتور. . لا شك أبداً في هذا. . مع أن ست سنوات مرت منذ آخر لقاء لهما، فلا مجال للشك في قسماته الواضحة القاتمة، ولا في جسده القوي أو وقفته المتعجرفة.

واضح أن الزمن فشل في تليينه، كما لاحظت، كما فشل كذلك في إخماد الكراهية نحوه التي كانت تحرق قلبها.

ـ طبعاً سيدي. . من هنا، أرجوك.

كان الساقي يسير عند مرفق الرجل الفرنسي، كما كان يفعل السقاة له طوال حياته، متلهفين لخدمة دومارشيه. بموجة ازدراء، أخفضت عينيها، وللمرة المليون في السنوات الستة المنصرمة لعنت الرجل الذي تسبب بمثل هذا الحزن الثقيل لعائلتها، من كل قلبها.

بفضل ڤيكتور دومارشيه، هذا الرجل الذي كانت تصلي

حتى لا تقع عيناها عليه مرة أخرى، ماتت أختها الحبيبة اليانور.

قطع الألم داخلها كالسكين نتيجة الذكرى.. وعلى الفور، رجعت عذابات السنين الماضية حية حقيقية، وكأنها حدثت بالأمس.. ولعنته مرة أخرى بإحساس مضاعف من الكره، لإرجاعه الماضي إليها بهذه القسوة.. فحتى دقيقة مضت، كانت تحس بالرضى لحياتها كلها.

كانت ليجي قد طارت إلى حرارة نيسان اللذيذة في ميامي منذ بضع ساعات فقط.. ممتلئة إثارة للمؤتمر الذي ينتظرها، مباركة التفاف القدر ذي الحدين الذي، ودون توقع، جاء بها إلى هنا.. فلولا نوبة عرق النسا التي أقعدت رئيسها عاجزاً، لما كان لها فرصة تمثيل الشركة التي تعمل فيها في أحد أشهر المؤتمرات العلمية.

كان دكتور ماركوس قد أكد لها، متحدثاً من فراش مرضه منذ ليلتين مضتا:

ـ أنت تستحقين هذا.. أنت إحدى الباحثات الشابات العاملات بكد ونشاط.. ولقد آن الأوان أن تذوقي بعضاً من المتعة.

كانت ليجي تعرف أنه يقول الحقيقة، فمن التواضع الزائف أن تنكر هذا.. فهي على مدى أربع سنوات أمضتها مع المؤسسة، وضعت قلبها وروحها في عملها، منلهفة لتثبيت نفسها في ميدان العمل الذي اختارته.. ومع أن المؤتمر الحالي هو من دون شك متعة، إلا أنها لا تستطيع أن تتصرف على أنه كذلك بل عند عودتها إلى بلادها، ستقدم للدكتور ماركوس مع المديرين الكبار الآخرين، تقريراً شديد الدقة والتأثير، لنتائجه. فقد قررت أن يكون هذا المؤتمر هبة من الله لها لتحصل على الترقية التي تسعى إليها.

هذه الأفكار المهيئة الاتجاه، منعتها من المضي في خطط إجازتها.. فلقد صدمها أساساً أن هذه الرحلة إلى ميامي، ستوفر لها

الفرصة التي لن تتكرر لتقوم بعمل مميز في الأسبوعين القادمين. لذلك، بدلاً من استئجار كوخ في منطقة «واليس» كما خططت أساساً، ستمدد إقامتها لثلاثة أيام في ميامي، إلى أسبوعين إضافيين في منطقة «الكاريبي».

مع ذلك، ترددت موزّعة بين هذا الإغراء الاستوائي وبين الرغبة في تحضير تقريرها حول المؤتمر في أقرب فرصة. وفي النهاية قرر عنها الدكتور ماركوس:

ـ لن تتاح لك فرصة تقديم تقريرك قبل أسبوعين لاحقين.. ستكون مشغولين مع وفد من اليابان.

وقررت ليجي بسعادة أن هذا هو الأفضل.. يجب أن أحصل على تصيبي من الحلوى وأن آكلها! فلقد كانت تعرف في هذا الصباح أن لا شيء في العالم يمكنه أن يفسد إقامتها عبر الأطلسي.. لكن بالطبع، لم تكن تفكر بأن تصطدم بفيكتور دومارشيه!

مع ذلك، هناك شيء يمكن أن تكون ممتنة له.. خلال السنوات الست الماضية، لم يتغير فيكتور.. في حين أنها هي تغيرت بشكل لا يقاس.. ولا مجال إطلاقاً لأن يتعرف عليها، في شكل هذه الشابة الواقفة التي أصبحت.. بدلاً من الفتاة الخرقاء غير المجربة ابنة التاسعة عشر التي التقاها لوقت قصير في بلدة «كورسيكا».

مع قليل من الحظ، فكّرت مطرقة، يمكنها حضور أيام المؤتمر الثلاثة دون أن تتلاقى طريقاهما.

لكن الصلوات، للأسف، ليست دائماً مستجابة. فعلى الفور، وقع ظل فوق كرسيها، وقال صوت عميق:

ـ عذراً مدموزيل.. يبدو أنك تجلسين إلى طاولتي.

أرجعت ليجي رأسها إلى الوراء جفلة.. فهي لم تشعر أبداً باقترابه منها، وسألت متحدية:

ـ طاولتك؟

أحست باحمرار وجنتيها وهي ترفع نظرها إلى وجهه..

ويا له من وجه! وجدت نفسها تفكر بذهول.. الأنف المستقيم الروماني النبيل، الفك المربع القوي، الحاجبان الأسودان المعقوفان كأنهما جناحا شيطان.. وهاتان العينان.. كيف يمكنها نسيانهما؟ إنهما من الكوبالت الأزرق المشع، مذهلتان في جمالهما العنيف.. تحيط بهما رموش كثيفة ناعمة تبيع معظم النساء أرواحهن لأجلها.

ابتسم ابتسامة هادئة متفوقة، الشفتان الواسعتان لهما انحناءة متكبرة.

ـ هذا صحيح مدموزيل.. هذه طاولتي.

ثم صمت ورمقها بنظرة طويلة بطيئة، حملت فيها عيناه الزرقاوان العميقتان إعجاباً ظاهراً، وهما تستوعبان تفاصيل مظهرها.

بدأتا برأسها، ذي الشعر البني الفاتح المتموج، المسترسل في موجات ناعمة حتى كتفيها.. وتوقفتا على وجهها البيضاوي المكتمل بفمه الوردي وعينيه الرماديتين الواسعتين، المليئتين في هذه اللحظات باستهجان غير خفي، ثم تفحصتا خطوط جسدها الرائع.. الداخل بأناقة في بذلة بلون البيج، وبلوزة بسيطة عملية بيضاء.. قبل أن تتحركا إلى الأسفل، نحو ساقيها النحيلتين المتعاليتين ثم إلى حذائها الجلدي الأنيق الأسمر.

وأضاف بكل رقة:

ـ مع أنني لا أمانع أبداً في مشاركتك فيها.. فصحبة امرأة شابة جذابة ليست شيئاً أتلهف لحرمان نفسي منه.

إذن، هو لم يتغير في هذا المجال أيضاً! فما زال العابث رئيس مؤسسة دومارشيه، الشهيرة بأبحاثها العلمية، زير النساء الذي لا

يخجل كعادته! رجل يحطم القلوب دون لحظة تردد.. معاملاً النساء كشكل رخيص من أشكال التسلية، لا يمتلك ذرة أخلاق!

لقد تابعت ليجي سلوكه الغريب، بشكل متقطع عبر مقالات الإشاعات في بلادها. فهي تعرف جيداً أن محبوبتها إليانور، لم تكن الوحيدة التي تحطم قلبها. فهذا الرجل، الذي ارتبط اسمه علناً بالكثير من الأعمال الرائعة، كان لديه في خصوصياته الكثير الذي يُخجل منه.

ضاقت عينا ليجي بالعداء:

ـ إذن، أخشى أن يأتي الاعتراض مني.

لهجتها كانت قاطعة، وهي تستدعي الساقي الواقف طوال الوقت بين يديه:

ـ ربما يمكنك بكل لطف أن تشرح لهذا السيد أن هذه طاولتي، ويجب أن يجد لنفسه طاولة أخرى؟

تنحنح الساقي بإحراج واضح.

ـ آسف آنسة، لكن هناك بعض الاختلاط.. فالسيد على حق.. هذه طاولته.

احمر وجه ليجي بشدة، ووقفت متخلية عن طبق سلطة مأكولات البحر الذي لم تنهه بعد، وقالت بحدة، مشيحة عينيها عن فيكتور دومارشيه:

ـ أرجو أن ترشدني إلى طاولتي إذن.

تلاشت المسافة بينهما لما وقفت، قربه المفاجيء منها كاد يغمرها، ويهددها بطريقة حساسة. أحست، أنه هو أيضاً، يشعر بتقاربهما الجسدي المفاجيء.. والتمعت شرارات كهربائية مشحونة، بينهما.

فرك الساقي يديه بأسى:

ـ للأسف آنسة، ليس هناك طاولة محجوزة لك.. لقد حصل خطأ في الكومبيوتر، ولقد أعطيت هذه الطاولة خطأ، وأخشى أن تكون كل الطاولات الأخرى مشغولة.

نظر بتوسل إلى ڤيكتور دومارشيه، ثم إلى ليجي بنفس النظرة، وقال لها:

ـ على أي حال، إذا كان بالإمكان القبول بعرض هذا السيد في مشاركته طاولته، فالمشكلة محلولة.

هذا ما يظنه! فمشكلتها بدأت للتو! بمجرد ظهوره على المسرح، أحست بشهيتها تتلاشى تماماً للثلاثة أيام القادمة. قالت بتصلب:

ـ وإذا رفضت؟

سحب الساقي أنفاسه من بين أسنانه ببؤس وأشار بيده إلى غرفة الطعام المكتظة:

ـ حسناً.. بالطبع، سنجد حلاً.. لكنني أخشى أن هذا الأمر يستدعي مشاركتك الطاولة مع نزيل آخر..

المشاركة مع مخلوق من البحيرة السوداء سيكون أفضل بكثير من مشاركة ڤيكتور دومارشيه.. لكن ليجي أدركت فجأة أنها تتسبب بمشكلة، وأن الوحيد الذي يعاني من نتائجها كان الساقي المسكين، الذي لم تكن هذه غلطته.. تجاوبها الفظ مع عرض ڤيكتور دومارشيه، لم يحرك شعرة واحدة من رأسه. بل الواقع أن تعبير وجهه، حينما استرقت النظر إليه، كان متحفظاً، بنسلية متفوقة.. فهذه الورطة التي وجدت نفسها فيها أثارت فيه روح المرح.

من الأفضل إذن أن تحني رأسها الآن ليد القدر، كما وجدت نفسها تعترف بمضض، ومهما يكن الأمر ستتحمل محنة تناول

العشاء مع ڤيكتور دومارشيه.. ثم، وفي ظروف أكثر سرية، يمكنها أن تجد البدائل لما تبقى من إقامتها.

عادت إلى الجلوس بتنهيدة استسلام مؤدبة، في حين استمرّت عيناه في تأملها، عبر الطاولة، وأعادت المنديل فوق ركبتيها:

ـ حسن جداً، أنا موافقة في هذا الظرف.

غمر الارتياح وجه الساقي على الفور، وطفق يحضر مكاناً آخر.

ـ إنه قرار حكيم جداً آنسة، أنا واثق أنك ستجدين هذا التدبير مرضياً.

هزت ليجي رأسها، دون معنى محدد، مدركة أنها لن ترضى. أرجعت ركبتيها إلى الخلف خلسة بينما كان ڤيكتور دومارشيه يجلس قبالتها، ويدس ساقيه الطويلتين تحت الطاولة. ثم تجاهلته متعمدة، لن تتبادل معه كلمة واحدة! رفعت شوكتها لتأخذ ملء فم من طعامها.

لكنه لم يكن ينوي أن يدعها بسلام، فما إن تركهما الساقي مؤقتاً حتى تراجع ڤيكتور في كرسيه وأخذ يرقبها من فوق حافة لائحة الطعام.. وقال بهدوء:

ـ الساقي على حق.. هذا تدبير مثالي.. شخصياً، أكره تناول الطعام لوحدي.

أخذت العينان الزرقاوان القاتمتان، بحاجبيهما المشابهين لجناح الشيطان تنظران إليها بشكل مغيظ، وكان في صوته لذعة سخرية خفيفة وهو يتكلم وكأنما كان يقرأ أفكارها تماماً، ويتعمد إثارتها.. وارتفع حاجبه متسائلاً وهو يدعوها إلى الرد:

ـ قليل من الصحبة على مائدة العشاء مرحب به دائماً.. ألا تظنين هذا؟

إنه حقاً وسيم، إلى درجة لا تصدق، تميزه طريقته المتعجرفة المهينة. ومع أنها تكرهه لما فعله باليانور، إلا أنها لم تجد يوماً مشكلة في تفهم ما كانت شقيقتها تراه فيه. لطالما اعتبرت أن اليانور، البالغة الخامسة والعشرين من عمرها، المطلقة، قد أظهرت نقصاً معيباً في بعد النظر والحكمة حين بدأت علاقتها مع ڤيكتور دومارشيه، وذلك في تورطها العميق هكذا، في استسلامها دون احتراس إلى رجل خطير.. لكنها على مستوى آخر، لا تستطيع مغالطة ذوق أختها.

تجولت عيناها في قسمات وجهه حينما التقت نظراته.. لتجد أنه ربما تغير قليلاً. خطوط الوجه الوسيم العميق السمرة كانت أكثر صرامة مما مضى.. واللمعان القاسي في عينيه، أصبح أقسى عبر السنين. وإذا كانت قد وجدته، وهو في الثلاثين، مذهلاً، وعديم الضمير، فهي تجده في السادسة والثلاثين أكثر وسامة.. وستكون حمقاء، قصيرة النظر حقاً، لو سمحت لنفسها أن تنخدع بعينيه اللتين تذيبان العظام، وابتسامته المغوية!

قالت ترد ببرود:

ـ هذا يتوقف على الصحبة.. فأحياناً أفضل أن آكل لوحدي.

سأل بهدوء:

ـ الآن مثلاً؟ تجدين أن صحبتي لا تناسب ذوقك حتى بعد معرفة قصيرة جداً؟

هذا ما أوقفها عند حدها.. وعرفت أنها تتصرف بشكل سيء، ترسل إشارات لم تكن تنوي أن يتلقاها.. وإذا كانت تنوي الإبقاء على هويتها سراً، وأن تتجنب كل العذاب الذي قد يتسبب الكشف عن قناعها، عليها إذن أن تتجشم عناء معاملته بحذر وتحفظ، كالغريب الذي من المفترض أن يكون.

عدلت من لهجتها، وأرسلت له ابتسامة تحثه على التحمل والصبر:

ـ أنا آسفة، لم أكن أقصد أن ألمح بمثل هذا.. فأنا لا أعرفك كما تقول. الأمر أنني فقط أحس بالتعب ولست في مزاج جيد للحديث.. وصلت من لندن منذ ثلاث ساعات فقط.

رد على ابتسامتها بابتسامة تفهم، مع أن ذلك البريق العميق في عينيه بقي كما هو.. أحست بأنه رجل يتذكر الفظاظة دائماً ويرد عليها كاملاً في الوقت الذي يختاره. أما الآن فقد كان يضع قناع المواساة:

ـ أجل.. في الواقع. السفر عبر الأطلسي متعب إلى أقصى الحدود.. ولقد تحملت لتوي سفراً مماثلاً من باريس. هل أنت هنا من أجل المؤتمر أم في عطلة؟

ـ أوه.. بل لأجل المؤتمر.. فأمثالي لا يأتون هنا لقضاء العطلة، إذ أنّ أماكن بهذه الفخامة مقصورة على أمثالك.

أدركت زلة لسانها لحظة نطقت بها.. فقد ارتفع حاجبه مستغرباً، وتركزت العينان المشعتان على وجهها:

ـ أشخاص مثلي؟ ماذا تعنين بهذا بالضبط؟

ترددت ليجي لحظات، تلعن نفسها على هذا التصرف الأخرق.. ثم قررت متهورة أن تخدعه.. على أي حال ماذا هناك أمامها غير الخديعة؟ أزاحت خصلة شعر صغيرة ناعمة عن وجهها، ونظرت إلى عينيه مباشرة:

ـ طبعاً كنت أخمّن.. لكن بالنظر إليك يمكنني القول إنك رجل ثري جداً.

كان في لهجتها شيء من السخرية البريئة.. وارتاحت عيناها على بذلته «الكشمير» والقميص المكتمل القياس، وربطة العنق

الأنيقة الطراز، ثم تحولتا إلى الأسفل نحو أزرار كم قميصه الذهبية، وإلى يديه الطويلتي الأصابع..

ـ أعذرني لو تكلمت بأشياء شخصية، لكن من حولك دون أدنى شك جو الثراء.

إضافة إلى قلة الإحساس والتكبر المتعجرف مما يتماشى مع هذه الميزة.. واختار الساقي هذه اللحظة ليصل، ويسجل طلب ڤيكتور دومارشيه.. لكنها تابعت تبتسم ابتسامة اقتناع وهو يطلب، ثم وهو يفكر بالرد.

قال مثبتاً عينيه على عينيها:

ـ لم يكن لدي فكرة أنك تدرسينني عن كثب. على أي حال لا أمانع إطلاقاً أن يكون كلامك شخصياً هكذا. تصرفي بحرية قدر ما ترغبين آنسة..

أوقف التساؤل ومال إليها:

ـ أخشى أن أكون لا زلت أجهل اسمك.. وربما حان الوقت لنتعارف.

ابتلعت ليجي ريقها بصعوبة.. فهذه لحظة قول الحقيقة.. فإما أن تكذب لتحتفظ باسمها مجهولاً، أو أن تعتمد على شكها في أن تكون ايليانور خلال علاقتها معه، قد كشفت، أو ذكرت له اسم شقيقتها الصغيرة.. في تلك الزيارة الخاطفة السيئة الذكر إلى «كورسيكا» قدمت ليجي نفسها إليه باسم «ليلي» اسم الطفولة الذي التصق بها حتى نهاية مراهقتها.. إضافة إلى أن ايليانور كانت معروفة باسم الزواج، وايت.. ومن الممكن أن يكون قد نسي اسم صديقته العائلي.

قررت أن تخاطر.. رجل مثل ڤيكتور دومارشيه من المستبعد أن يتذكر التفاصيل الصغيرة لحادثة غير مميزة مرت في حياته..

رفعت رأسها واستقام كتفاها لتقول له:

ـ اسمي ليجي دايلي.

ها قد ذكرت اسمها! وليفهم منه ما يشاء!

رأت على شفتيه ابتسامة ساخرة:

ـ ليجي..؟ اسم غير عادي.

فلتمنع السماء أن يربط اسم ليجي بليلي! ثم تنهدت في داخلها حين أضاف:

ـ لا أظن أنني سمعت مثله من قبل.. إنه جميل.

أسبلت جفنيها لتخفي ارتياحها.. وتمتمت:

ـ شكراً لك.

ـ وأنا ڤيكتور دومارشيه.

ولم يكن هذا بالنسبة لها ضرورياً، فرفعت رأسها إليه.. كان يمد يده وهي تمسك بيدها، أحست للحظة حادة مخيفة بضغط يده الدافىء.. فمصافحته كانت مفعمة، حازمة، مستبدة. ووجدت نفسها تنتزع يدها بعيداً.

أضاف مبتسماً، يسخر من عدم سؤالها:

ـ في حال تساءلت، أنا هنا لحضور المؤتمر أيضاً.. وأرجو أن تكون النتيجة مثيرة للاهتمام.. أنا أعمل في مجال الأبحاث العلمية.

كانت هذه فرصة رائعة.. لن تتركها ليجي تمر.. نظرت إليه بعفوية مبالغ فيها، تلعب دوراً بعينيها.

ـ أظن أن لا علاقة لك بمؤسسة دومارشيه.. أليس كذلك؟

هز رأسه.

ـ بل لي علاقة بكل تأكيد: مؤسسها مارسيل دومارشيه كان جدي.. في الواقع.

أجبرت ليجي قسمات وجهها بجهد على أن تبدو متأثرة بشكل مناسب.. على أي حال، سبق لها أن تأثرت بهذا الاسم من قبل، حين أعلنت شقيقتها أنها حصلت على وظيفة مساعدة شخصية للشاب اللامع رئيس إدارة مؤسسة دومارشيه.

لكن مشاعرها في الموضوع تغيرت بشكل جذري منذ ذلك الوقت.. مع أنها استمرت في الإعجاب بعمل المؤسسة، التي تقف في مقدمة الأبحاث العلمية. ولم تعلم تجربة ايليانور القاتلة ليجي سوى كراهية رئيس إدارتها. أخفضت عينيها حتى لا يفضحا مشاعرها وأحست بالارتياح حين سأل:

ـ أخبريني إذن، ليجي.. ما نوع عملك؟

ـ عمل صيدلاني.. أنا مساعدة أولى للأبحاث في شركة عقاقير صغيرة جنوبي انكلترا.

ـ وهل هذا مؤتمرك الأول؟ لم أرك في أي مؤتمر من قبل.. يرى المرء عادة نفس الوجوه القديمة مرات ومرات، في مثل هذه المؤتمرات.. ومن التغيير المبهج رؤية وجوه شابة جديدة.

ـ إذن أنت تحضر المؤتمرات بصورة دائمة.. أليس كذلك؟

تجاهلت الاطراء، وركزت نظرها عليه تكمل:

ـ أنا مندهشة من أن يجد رئيس شركة كبيرة مثلك الوقت كي يلاحق مثل هذه الأمور.

ـ أحب أن أبقى على اطلاع شخصي بما يقوم به أقراني حول العالم.. إضافة إلى أن المؤتمرات أفضل مكان للالتقاء بالناس وتبادل الأفكار.

أراهن على هذا! دون ذكر فرصة مقابلة الكثير من الوجوه الجديدة! فيكتور دومارشيه، لن يتردد في أن يسيء استخدام مركزه العلمي، في مثل هذا الحدث، كي يضيف أناث إلى لائحة

انتصاراته!

نظرت إليه نظرة سوداء، مع وصول الساقي يحمل أول طبق له من وجبته وطبقها الأساسي، ليضع الطبقين على الطاولة أمامهما.. وفكرت برضى.. حسن جداً، مثل هذه التصرفات ستبعده عنها دون شك.. فهو لا شك تلقى الرسالة الآن، بأنه سيضيع وقته هباة إذا فكر بأن يضع نظره عليها!

كان عليها أن تعترف برغبة سرية، أنه قد يتهور بما يكفي لأن يحاول. ستشعر بكثير من الرضى حين تتمكن من توجيه ضربة رفض لزير النساء المتكبر فيكتور دومارشيه.. مع أنها تحس، للأسف، أنها لن تتمكن من مماشاة قسوته التي عامل بها ايليانور.

أكملا الطعام بصمت لفترة، وراقبته ليجي من تحت رموش منخفضة، ينهي طبقه الأول ويبدأ بتناول اللحم المشوي.. للرجل شهية رائعة للطعام الجيد، كما للنساء الجميلات.

ظهر الساقي فجأة وهو يصب لها وله بعض العصير:

ـ هناك مكالمة لك سيد دومارشيه.. هل تأخذها عند مكتب الاستقبال أم هنا؟

نظر إلى ليجي ساخراً، وهز رأسه.

ـ سآخذها هنا.. أنا واثق أن السيدة الشابة لن تعترض؟

ـ أبداً..

لو كان سيمضي ما تبقى من وجبة الطعام يتحدث في الهاتف، فستتخلص من الانزعاج في الحديث معه.

لكن المكالمة كانت قصيرة جداً.. أقل من دقيقتين، بعدها كان يعيد السماعة مكانها ويخرج من جيبه آلة تسجيل صغيرة، يملي فيها رسالة قصيرة، ورقم هاتف. قال وهو يضعها على الطاولة:

ـ إنها وسيلة تذكير لا تقدر بثمن.. الرسائل المسجلة على قطع

من الورق تضيع دائماً.

ابتسمت له:

- كم هو مزعج إضاعة أرقام الهواتف، خاصّة المهمّ منها.

ظنّت أنها رأت شبح ابتسامة، وكأنه فهم ما تعنيه، ثم رفع حاجباً كجناح شيطان، وسأل:

- هل تخططين للعودة مباشرة إلى انكلترا بعد المؤتمر؟

لماذا يسأل؟ هزت رأسها ونظرت إلى عينيه:

- في الواقع لا. أخطط لقضاء أسبوعين في الاستلقاء على شواطىء «باريادورس» أولاً.

رفع حاجبه مرة أخرى:

- ظننتك قلت لي قبل الآن إن مثل هذه الفخامة هي أبعد من منال أشخاص مثلك؟

لقد تذكر تعابيرها الهازئة!

- عادة.. أجل. لكن بما أنني هنا.. اكتشفت أنني أستطيع هذا بشكل رخيص نسبياً.. بكلفة أقل مما يمكن أن أدفعه لرحلة إلى إسبانيا.. وبالطبع، سيكون الفندق الذي سأقيم فيه متوسطاً، وليس أحد الفنادق ذات الخمسة نجوم، التي يرتادها أمثالك.

- طالما أنها نظيفة، وخالية من الحشرات المؤذية، لا سبب يمنعك من السكن فيها.. بالطبع، تفحصت المكان جيداً؟

- أتعني.. أنه قد لا يكون.. نظيفاً و.. خالياً من الحشرات؟

الفكرة نفسها أخافتها.. حتى الكلمات علقت في حلقها.

ولم يكن فيكتور دومارشيه مستعداً لطمأنتها.

- في مثل هذا الجزء من العالم، هذا ممكن دائماً.. مع أنه من غير المعقول حقاً أن تنزعجي من بضعة صراصير.

كبحت ليجي ارتجافها:

- صراصير؟ لا تقل لي إنها تدخل غرف النوم!

- إنها تدخل إلى كل مكان عزيزتي ليجي.. ومع أنها كبيرة، وأحياناً كبيرة جداً، إلا أنها لا تؤذي، احتفظي فقط بعلبتين من المبيدات قرب سريرك، وستتمكنين من السيطرة عليها.

السيطرة عليها! كم يعتقد أنها ستواجه من هذه المخلوقات المخيفة؟

ارتجفت ليجي، وهي تجبر نفسها على النظر إلى عينيه الزرقاوين.. إنه يقول هذا متعمداً.. بالطبع. وبطريقته الخبيثة الماكرة، يرد على فظاظتها نحوه.. لا يمكنه أن يختار سلاحاً أكثر تأثيراً، فخوف ليجي من المخلوقات الزاحفة يكاد يصل إلى حد الأسطورة بين أصدقائها!

في تلك اللحظة، حين أمسكتها الصدمة، جاء الساقي ليأخذ الأطباق الفارغة.. كانت تحس بعيني فيكتور مسمرتين على وجهها.. إنه يتمتع دون شك بالشحوب الرمادي الذي لوّنت به كلماته غير اللطيفة خدّيها.. وكانت متأكدة أنه لم يلاحظ هفوة الساقي العرضية التي دفعت آلة التسجيل إلى الأرض.. قد لا تكون هي نفسها لاحظتها، لولا أنها وقعت على بعد قليل منها.

للحظة، كادت أن تنحني لتلتقطها، وتعيدها إلى صاحبها.. لكنها توقفت وهو يتابع قوله بطريقة متعالية.

- إذا كانت مثل هذه الأشياء تزعجك كثيراً، يجب أن تبقي في أوروبا لأجل مغامراتك.. فمثلاً في جزيرتي، كورسيكا، لدينا حصتنا من الحشرات بالطبع، لكنها على مستوى أخف.. هل ذهبت يوماً إلى هناك؟

اختفى كل الخوف والتفكير بالحشرات الزاحفة من رأس ليجي.. وكل ما أصبحت تحس به آلة التسجيل قرب قدميها، وموجة

من الإثارة المتهورة تملأ نفسها. واستمرت في التحديق عبر الطاولة، لتسأل بغباء:

ـ هل ذهبت يوماً إلى.. أين؟

ـ كورسيكا.

ـ آه.. كورسيكا.. لا.

ثم أضافت بابتسامة آلية، وفكرة مفاجئة أخذت تتكون:

ـ في الواقع يجب أن أذهب إليها يوماً. يقال إنها جزيرة جميلة.

ـ إلى حد كبير.. وإذا زرتها يوماً، سيكون لي شرف استضافتك.

حقاً؟.. حسناً.. هذا لن يحدث أبداً! مرة واحدة كانت أكثر من كافية.

تظاهرت بالتقدير:

ـ هذا لطف كبير منك. يجب أن أتذكر أن أبقي عرضك في تفكيري.

قرّبت آلة التسجيل إلى حقيبة يدها الموضوعة أرضاً بحركة ذكية من قدمها، ثم حركت كتفيها وتنهدت:

ـ أظن الوقت حان لإنهاء يومي. إذا كنت لا تمانع سأتركك الآن.

أحنى رأسه:

ـ تفضلي.

انحنت لأخذ حقيبتها، كانت مسجلته الفضية اللامعة أمام عينيها بالضبط. ترددت مقدار خفقة قلب.. فما تخطط له أمر خاطىء. لكنها فكرت بكورسيكا وايليانور، وكل المرارة، والذكريات القاسية التي أعادها وجوده إليها.. وبإحساس انتصار

صغير، مدت يدها لتطبقها على الآلة المعدنية الباردة. وفي لحظة، كانت تدسها في حقيبتها، ووقفت بثبات تامّ قائلة:

ـ من اللطف مقابلتك سيد دومارشيه.. أتمنى أن تتمتع بالمؤتمر.

ـ أنا واثق أنني سأتمتع، وأتطلع شوقاً لرؤيتك وقت الإفطار غداً.

لو رأيتك أنا أولاً فسوف لن تراني!

لكنها كبحت إغراء أن تقول له هذا بصوت مرتفع. وضعت حقيبتها بعفوية على كتفها واكتفت بقولها:

ـ عمت مساء.

ثم اتجهت عبر الغرفة المزدحمة، وقلبها يخفق كالطبل داخل صدرها.. وكأنما حاسة سادسة تقول لها كم ستحس بالمرارة والندم على الأمر الغبي.. الذي قامت به لتوها.

***

www.liilas.com

liilas.com
rayqh

٢ - في قبضة يده

لم يكن في نية ليجي، ولو للحظة واحدة، سرقة آلة تسجيل ڤيكتور دومارشيه، ولا الاستماع إلى ما قد يكون مسجلاً فيها. التهور المفاجىء الذي دفعها إلى أخذها، مبعثه رغبة بسيطة لإحباطه.. ومع أنها كانت حركة تافهة، إلا أنها بدت كطريقة صغيرة للانتقام منه. فهو عند ذكره لكورسيكا، ملأها فجأة بالغضب والرغبة السوداء في الانتقام.

خارج غرفة الطعام، وهي تنتظر المصعد، ليحملها إلى غرفتها في الطابق الثاني والعشرين.. ذهلت أنها نفذت ما فعلته دون ارتجاف أو عاطفة، لكنها من الداخل لم تكن هكذا.. الذكريات التي أثارتها ذكره لكورسيكا كانت لا تزال تؤلمها.

دخلت المصعد.. وحدّثت نفسها بمرارة: أتسمّين هذا انتقاماً؟ هذا العمل الطائش المثير للإشفاق بالكاد يصل إلى اسم الانتقام! كل ما فعلته في الواقع، وعلى الأرجح، هو حرمانه مؤقتاً من بضع أرقام هاتف! رمت حقيبتها في غرفتها بكل ما تحويه بازدراء في زاوية طاولة الزينة، حقاً.. إذا كان هذا هو أفضل ما تستطيعه من الانتقام لأجل أختها، فمن الأفضل أن تتخلى عن الفكرة.

خلعت حذاءها بشدة من قدميها، نزعت عنها السترة. ثم التقطت الهاتف واتصلت بخدمة الغرف:

- كوب من الحليب الساخن أرجوك.

ربما سيساعدها هذا على النوم.. بكل تأكيد تحتاج أكثر من كوب حليب ساخن ليهدئها، وعرفت أنه من الصعب نومها بسهولة.

نظرت بعقدة ذنب إلى حقيبتها على طاولة الزينة. على أي حال، كانت مجنونة عندما أخذت المسجلة، من أية زاوية نظرت للأمر.. فالحقيقة القطة أن ما فعلته سخيف تماماً حتى من زاوية اعتباره انتقاماً. فرجال مثل ڤيكتور دومارشيه، يبحرون خلال الحياة دون اكتراث، ودون أن يستطيع أحد أن يتحدى تصرفاتهم.. إنهم أقران الشيطان، في هذه الحياة على الأقل، ولا يدفعون أبداً ثمن جرائمهم.

رجال مثل هؤلاء ليسوا قلة.. فوالدها كان واحداً منهم، تخلى عن زوجته، وابنتيه الصغيرتين منذ أكثر من عشرين سنة.

وبالطبع، كان هناك جيريمي.. مؤخراً.

أبعدت الذكرى عنها مع تدافع الذكريات إلى رأسها. جيريمي أصبح من الماضي الآن، لكنه لا زال مثالاً يذكرها بالقساوة الباردة التي يستطيع الرجال التصرف بها.. مع أنها تشك كثيراً في وصوله إلى مستوى هذا الرجل الفرنسي، ڤيكتور دومارشيه في هذا المجال.

تناولت الروب القطني الأبيض الذي كانت تعلقه داخل الخزانة متنهدة، وضعته عليها قبل أن تتجه إلى الحمام.. كلما فكرت بالأمر، أحست بمدى غبائها في المخاطرة مع دومارشيه.. فأخذ آلة التسجيل غباء صرف لا تفسير له، ومن الأفضل لها إعادتها إليه، وفي أسرع وقت ممكن.. والأفضل دون أن يشك أنها لعبت دوراً في اختفائها.

شدت حزام الروب القطني الرقيق حول خصرها النحيل، وانحنت لتدير حنفية الماء الساخنة.. يمكنها التفكير في كيفية إنجاز

مهمتها وهي مسترخية في المغطس المملوء بالماء الساخن..
ترشف كوب الحليب الذي طلبته.

وابتسمت ليجي لنفسها مع دقة حادة على باب غرفتها واستقامت. لقد كان قسم خدمة الغرف سريعاً جداً في تلبية طلبها.

نادت بعد سماع دقة أخرى:

ـ قادمة!

شدت روبها مجدداً حولها، وفتحت الباب مع ابتسامة شكر. لكن ابتسامتها خبت كبالون مثقوب لما رأته عند الباب.

قال بلهجة غير ودية:

ـ تقابلنا ثانية.. لم أكن أتوقع هذا الشرف سريعاً.

كان رد فعلها الفوري أن صفقت الباب في وجهه.. غير مهتمة باللمعان الظاهر في عينيه والذي كان يعكس كل شيء ما عدا اللطف.

لكن شيئاً في وضعية جسده الطويل الرجولي بدا مهدداً تقريباً، يملأ إطار الباب، ويتسبب في جمود أصابعها الفوري على مقبض الباب.. كانت ردة فعله أسرع منها بكل تأكيد، إذ دفع الباب إلى الوراء قبل أن تغلقه نصف إغلاقة، فليس لديها أية رغبة أن تنقلب هذه المواجهة جسدية.

هكذا دفعته قليلاً، وكأنما هي في خجل لملابسها الخفيفة، وقالت:

ـ أخشى أن تكون فاجأتني في لحظة غير مناسبة.. كنت أستعد لتوي لدخول الحمام.

تبخر الأمل الضعيف في أن يكون فهم التلميح فجأة وهو يخطو إلى الأمام.. وكانت محقة حول ردة فعله الصاعقة. يده كانت على الباب، تفتحه، قبل أن تعي أنه يتحرك.. نظر مباشرة إلى عينيها:

ـ لنبدأ بالأهم أولاً.. أظنك تمتلكين شيئاً يخصني؟

في تلك المرحلة كان هناك خياران واضحان مفتوحان أمامها، إما أن تتوسل غفرانه وتعيد إليه آلة التسجيل، وإما أن تنكر كل صلة بما يتحدث عنه، آملة أن تستطيع إقناعه ببراءتها.. لم تأخذ أكثر من ثانية لاتخاذ القرار وهي تنظر إلى عينيه غير المتسامحتين.

رفعت حاجبها متعمدة، وقالت له:

ـ أخشى أن لا تكون لي أدنى فكرة عما تتحدث عنه.

الاعتراف سيكون دعوة مفتوحة لسلسلة من المتاعب ومن الأسلم جداً محاولة الخداع.

ـ أوه.. لا؟ ما أتكلم عنه آنسة دايلي هو آلة التسجيل التي حملتها معك بكل ذكاء.

تقطب حاجباها أكثر:

ـ آلة التسجيل؟ وما الذي جعلك تظن أنني أخذتها؟

وأطلقت ضحكة تجاهل مكملة:

ـ لا حاجة لي بآلة تسجيلك سيد دومارشيه.

لو أنها التزمت موقفها فلن يكون لديه خيار سوى التراجع وتصديق كلمتها.. ثم أول ما تفعله في الصباح تحضير خطة لتعيد إليه آلته.

كانت العينان الزرقاوان لا تزالان مركزتين عليها، والتعبير فيهما لم يلن بعد.

ـ إذن، تنكرين أنك أخذتها؟

ـ بالطبع أنكر.

ـ آنسة ديلي، أنا أرى أنك لست لصة فقط بل كذلك وقحة، فضلاً عن أنك كاذبة غير صالحة!

ثم، وقبل أن تليس احتجاجها ثوب الكلام الذي كان يتشكل

على شقتيها، دفع الباب على مصراعيه، ليرسلها تتعثر إلى الخلف، واقتحم غرفتها بغضب.

وقف وسط الغرفة، وكأنه غضب غير مكبوت متدفع من الجحيم.. عيناه تبرقان كمشعلين ساطعين؛ الطاقة الشرسة ترسل ذبذباتها من كل مسام جسده، تهدد بإشعال الغرفة كلها ناراً. طافت نظرته مفتشة هنا وهناك.. ثم قال:

ـ أخبريني ماذا فعلتِ بها بكل لطف.

ـ قلت لك أنا لم أفعل شيئاً بها! ثم أي حق تظن نفسك تملكه لتقتحم غرفتي هكذا؟

فجأة، وقعت عيناه على الحقيبة الموضوعة على طاولة الزينة:

ـ آه..!

بخطوتين وصل إليها وأمسك بها.. يرعب، وهي تحس أنها تنقلب إلى نشارة خشب، راقبته وهو يفتح السحاب ثم يستدير إليها بعد أن جف الدم من عروقها، ممسكاً المسجلة بيده.

ـ إذن لا تعرفين شيئاً عنها.. أليس كذلك؟ إذن أرجوك أن تفسري لي كيف وصلت إلى هنا!

كانت ليجي قد توقفت عن التنفس، وأحست أنه سيغمى عليها، وتمتمت:

ـ لست أدري.. أقسم أنني لا أدري.

وقف أمامها:

ـ أرى مزيداً من الأكاذيب إضافة إلى أنك لصة وقحة وكذابة، أنت كذلك، كما أرى، جبانة تثير الشفقة.. على الأقل ليكن لديك الشجاعة للاعتراف بفعلتك!

لتترك له فرصة تمزيقها من طرف إلى طرف في التو؟.. ابتلعت ريقها بخشونة، وقالت متوترة:

ـ لا بد أنها وقعت من فوق الطاولة إلى حقيبتي.. دون أن ألاحظ هذا.. إنه التفسير الوحيد الذي أستطيع التفكير به.

ـ ويا له من تفسير ضعيف واه.. أتتوقعين مني جدياً أن أصدقه؟ إذا كنت تظنينني مغفلاً آنسة دايلي؛ فأنت ترتكبين غلطة فادحة.

وهذا ما تعرفه جيداً.. فيكتور دومارشيه ليس مغفلاً.. إنه عابث جريء قاسي، متسلط متعجرف، مسلّح بذكاء حاد قاطع.. وعليها أن تجد ما هو أفضل من هذا لتقنعه.

لكن دماغها المسكين المصدوم لم يستطع التوصل إلى شيء. فحاولت طريقة جديدة.

ـ لماذا لا تصدقني؟ لماذا أرغب في آلة تسجيلك؟

ابتسم بتجهم، وهو مستمر في النظر إليها:

ـ هذا سؤال من السهل الرد عليه. هناك أشياء في ذلك الشريط قد تهم زميلاً عالماً، وكما قلت لك، أستخدم الشريط كدفتر مذكرات، أخزن فيه الأفكار وأرقام الهاتف.. ألهذا السبب أخذته آنسة دايلي؟ هل أنت جاسوسة صناعية؟

ـ يا للسماء لا! يا لها من فكرة منافية للعقل!

ـ أخشى أنني لا أجدها منافية للعقل أبداً.. بل العكس أعتبرها التفسير الأكثر احتمالاً.. إلا إذا استطعت الخروج بتفسير أفضل.. طبعاً.

كادت ليجي تقول له الحقيقة.. إنها فعلت هذا دون هدف ظاهر، لكن هذا سيقود إلى كل أنواع المتاعب والتفسيرات التي تتلهف أن تتجنبها.. لذا سارعت تؤكد له بصوت صغير صادق.

ـ أي شيء آخر يمكن أن أكون، فأنا لست جاسوسة.

نظر إليها طويلاً.

ـ سنرى إلى أي مدى سيقتنع الآخرون بنكرانك آنسة دايلي..

لأنني أنا لا زلت أشك في ذلك.

مد يده متعمداً وضغط زر الاقفال في المسجلة وأعادها إلى جيبه.. وهي تتابع ما يفعله برعب، أضاف بتلذذ ساخر:

ـ كما ترين، حديثنا كله أصبح مسجلاً.

إذا كان صوته نفذ إلى عظام ليجي من قبل، فقد أحست الآن أن لغماً انفجر في وجهها.. نظرت إليه ببلاهة لحظة، وسألته بارتجاف:

ـ ولماذا سجلته؟

ـ كدليل.. لاستخدمه ضدك.. لو قررت أن أفعل.

وابتسم لها ابتسامة القرش المفترس.

ابتلعت ريقها بصعوبة، فأحست بالمرارة:

ـ لاستخدامه.. ضدي.. كيف؟

هز كتفيه:

ـ أستطيع الآن رميك خارج المؤتمر، كبداية.

رفع يده ليفرقع أصابعه في وجهها مكملاً:

ـ هكذا.. وفي دقيقتين! ولو صممت، لاستطعت على الأرجح أن أرميك خارج عملك.

جمدت ليجي، فاقدة القدرة على الكلام، كان فمها يفتح ثم يقفل، دون صوت يخرج منه. كيف يعقل أنها لأجل تحرك غبي، انهالت على رأسها كل هذه الكوارث؟

أشاح بنظره عنها، عيناه تتجهان إلى الحمام:

ـ لكن، أخشى أن يكون لديك الآن مشكلة فورية. فإذا لم أكن مخطئاً.. أسمع صوت ماء يجري.

الحمام..! لقد تركت الماء مفتوحاً في المغطس، ونسيته تماماً وسط كل هذه الورطة.

استدارت على عقبيها بشهقة مخنوقة وركضت إلى الحمام. لا بد أن المكان كله يطوف الآن بالماء! رأت أنها على حق.. وهي تدخل الباب، كانت المياه الساخنة في شلالات يتصاعد منها البخار تتدفق من فوق المغطس أما الأرض فكانت مغمورة بإنشين من الماء الساخن على الأقل.

ويا للأسى، ليست كافية لأن تغرق نفسها فيها. ولوت شفتيها بمرح أسود وهي تركض لتقفل حنفية الماء.. يبدو أن القدر القاسي ينكر عليها حتى هذا المخرج الملائم من مأزقها.. مع أن هناك ماء المغطس نفسه لو فكرت في دفع نفسها إلى الموت فيه!

الطيف الطويل الأسمر عند الباب كان يرقب الأضرار بعين غير مهتمة:

ـ يا لها من ورطة.. لكن لا تقلقي، ستجف وحدها.

أشار إلى ثقب معدني مستدير وسط الأرض الزرقاء.

ـ البالوعة ستبتلع معظمها. أفضل شيء تفعلينه هو تركها لفترة.

ردة فعله المتعقلة سكنت من ذعرها مؤقتاً. واستطاعت أن ترى أنه على حق.. فالبالوعة كانت فعلاً قد بدأت تبتلع بشدة الماء المتدفق إليها. نظرت إليه نظرة جانبية، شاعرة بالسرور لوجوده.. ثم أدركت فوراً مدى غباء هذا الإحساس. فما كان جرى ما جرى لولا أنه ألهاها!

عاد تفكيرها بحدة وبؤس إلى آلة التسجيل، فانتزعت منشفة عن التعليقة ولحقت به إلى غرفة النوم.. لو أنها فقط كان لديها العقل المتزن لتفكر بنتائج عملها مسبقاً! جففت قدميها المبللتين، ورمت المنشفة على السرير.. على أي حال إنها ليست مدركة تماماً مزاج الرجل الخالي من الرحمة الذي تورطت معه.

حين رفعت نظرها، أبصرته يقف هناك يرقبها، يمد يده بكوب حليب طويل.

ـ خادم الغرف جاء بهذا وأنت في الحمام.. من الأفضل أن تشربه وهو ساخن.

يا له من اهتمام! أخذت الكوب الساخن حذرة لتتجنب أصابعه.. كانت تفكر أن هناك شيئاً مربكاً في قدرته الرهيبة على التعامل بطريقتين وفي آن واحد. في لحظة، يكون المتسلط الغاضب، وفي الأخرى يسدي النصيحة في مسألة حمام، ويبدي الاهتمام بكوب حليبها. استدارت تنظر إليه، تعابيرها متشوشة، تتساءل أي جانب منه ستواجه الآن.. وعاد المتسلط:

ـ كما كنت أقول.. يمكنني أن أسبب لك المتاعب الكثيرة لو شئت.

لم يخطر ببالها أبداً الشك في هذا، دومارشيه رجل سلطته كبيرة وله نفوذه، والفضل في ذلك لفكرته الذكية في تسجيل كلامها.. أدانت نفسها بفمها، وسيكون من السهل جداً عليه رميها خارج المؤتمر.

انقلب قلبها رأساً على عقب، يا له من موقف مشين! مع أنه قد يكون مبالغاً قليلاً حين هدد أنه قادر على رميها خارج عملها كذلك، إلا أن لديه القدرة على تأخير ترقيتها، وهذا أمر سيء بما يكفي. وأحست بدوار، وسألت:

ـ وهل ترغب في هذا؟

نظر إليها طويلاً:

ـ لم أقرر بعد.

ربت على الجيب الذي يحوي المسجلة، وابتسم ساخراً متعمداً تعذيبها:

ـ طالما أبقي الدليل في أمان، أستطيع أن أقرر متى أشاء.. من يعرف؟ قد يكون من مصلحتي أن أبقي ما جرى سراً بيننا.

أحست ليجي بأصابع باردة تمر على ظهرها.. هل هذه إشارة ذكية إلى نوع من الابتزاز؟ نظرت إليه بعينين ضيقتين:

ـ إذا كنت تفكر بشيء من الابتزاز، أستطيع أن أعدك بأنك ستضيع وقتك.. فأنا لا أملك مالاً أعطيه لك.

ابتسم ثانية، من دون مرح، ثم استدار مشمئزاً نحو الباب:

ـ لا تقلقي، لست بحاجة إلى مالك. لدي منه أكثر مما يكفي.. لكن، ربما، لديك ممتلكات أخرى قد تهمني.

فتح الباب وهي تحترق تحت نظرته، التي بدت وكأنها تعريها، وخرج مكملاً:

ـ حين أصل إلى قراري سأعلمك. أما في الوقت الحاضر «شيري».. تمتعي بحريتك.

أصبح التمتع بأي شيء فجأة بعيداً عن منالها.. حتى حين دخلت المغطس وأطبقت المياه الساخنة حولها، لم تتمكن من نفض الثقل عن قلبها.

من القساوة البعيدة جداً عن التصديق أن يقتحم فيكتور دومارشيه حياتها هكذا، ليرمي ظله الأسود لا على الماضي فقط أو الحاضر، بل على المستقبل أيضاً. ألم يكفه ما فعله في الماضي؟

استلقت بين الفقاعات، وأغمضت عينيها.. ألم يوقع ما يكفي من ضرر بعائلتها لما يكفيهم؟

كان تفكيرها مع تدفق الألم والغضب فيها، يعود إلى كورسيكا، إلى ذلك الصيف منذ ست سنوات. حين بدأت مأساة أختها.

كانتا قد طارتا إلى هناك في إجازة، هي وأمها بناء لإلحاح

ايليانور.. الحب الذي كان يزهر بينها وبين ڤيكتور منذ أشهر، بعد ذهابها للعمل له مباشرة، بدا أنه يتجه إلى نهاية سعيدة.. فقد كتبت منذ بضعة أسابيع سبقت تقول إنهما سيعلنان الخطوبة قريباً.

من الطبيعي أن تبتهجا لأجل ايليانور.. فالشقيقة الفاتنة، المغامرة، الشقراء الشعر، المختلفة تماماً، وفي كل شيء، عن ليجي، كان يحق لها بقليل من السعادة في حياتها الخاصة.. فمنذ سنة سبقت انتهى زواجها القصير بالطلاق. وقبل ذلك مرت بسلسلة من العلاقات، تحطمت كلها، وكان من الرائع معرفة أنها وجدت الحب الحقيقي أخيراً.

لكن ليجي اضطرت إلى تغيير رأيها بطريقة أو أخرى منذ اليوم الأول لعطلتهما القائلة.

كبداية، ساعة وصولهما، لم يكن هناك دليل على وجود ڤيكتور.. وأخبرتهما ايليانور عن السبب، بشيء من القلق:

ـ أظنه متوتر الأعصاب لأجل لقائكما.. لا تقلقا ستريانه في الغد.

وفعلاً ظهر في اليوم التالي، دون توقع تماماً، مفاجئاً الثلاثة على الغداء مُصرًّا بسحر كبير على تقديم العشاء لهن تلك الليلة.. وكان عشاء رائعاً.. ڤيكتور فيه المضيف المهتم الكريم.. مع أن ليجي كانت تراقب دون إعجاب الطريقة الآلية التي كان يعامل فيها ايليانور. لم ترَ شيئاً من حيّة في مواجهة العينين المشعتين لأختها.

كذلك لم يكن هناك أثر للتوتر الذي نسبته له اليانور.. ڤيكتور دومارشيه، كما استنتجت ليجي بسرعة، كان رجلاً أعصابه من حديد، ولا يعرف معنى الاضطراب.. ولذلك كانت أقلهن عجباً للكارثة التي حلت في الأمسية التالية.

قال لهن بهدوء إنه سيكون مشغولاً في الأمسية التالية واقترح

تناول العشاء تلك الليلة في الفندق الذي تنزل فيه ليجي وأمها.. وكاد هذا يحصل لولا تدخل القدر.

قالت ليجي متحدية أختها بتهور:

ـ سمي لي أفضل مطعم أسماك على الجزيرة!

حين أجابت اليانور، قالت بإصرار:

ـ فلنذهب إلى هناك الليلة.. على حسابي!

كانت تقصد بهذا إبهاج اليانور وطرد النظرة الحزينة من عينيها.. ولم تكن لتخمّن ولو بعد مليون سنة ذلك العذاب الذي ستأتي به تلك الأمسية.

لم يمض على وجودهما في المطعم أكثر من نصف ساعة، حتى دخل ڤيكتور وفتاة جميلة في ذراعه.

بدا أنه لم يلحظ وجود اليانور في البداية.. وهذا لم يكن عجيباً، نظراً لانشغاله مع شريكته. كل السحر الذي كان ينقصه وهو في رفقة اليانور، التي وعدها بالزواج، كان يشع الآن على وجهه.

راقبت ليجي بضعف متألم اللون يجف من على خدي شقيقتها، واضطرت للتخلي عن سكينها وشوكتها. ثم وقفت، بشكل أخرق وتمتمت لليجي وأمها:

ـ أعذراني.. أنا آسفة، لكنني لا أستطيع البقاء هنا.

بعد لحظة كانت تسير متهاوية نحو الباب، عيناها ملتمعتان بالألم، مبللتان بالدموع، تاركة ليجي وأمها مسمرتين على الطاولة.

بدا أن ڤيكتور لحظتها فقط لاحظ ما يجري.. فانتقلت عيناه من الطيف المنسحب، إلى الأخريتين الجالستين بكلالة إلى الطاولة.. وللحظة خاطفة، كما تذكر ليجي أظهر وجهه بعض آثار الندم التي زالت بسرعة.. واختفى هذا التعبير ليحل مكانه عدم اكتراث بارد متعجرف.

بدأت كراهيتها له في تلك اللحظة بالذات، ولولا تدخل أمها قائلة في الوقت المناسب:

ـ أظن أن علينا المغادرة كذلك.

لكانت مستعدة، وبسرور، أن تذهب إليه وتمزقه إرباً بيديها العاريتين.

طبعاً.. تدمرت العطلة.. وأمضت اليانور الأيام التالية باكية.. وابتعد ڤيكتور دومارشيه عن طريقهما لما تبقى من إقامتهما في الجزيرة. ومع أن ليجي لم تشاهده بعد ذلك، إلى أن اختار قدرها أن يجمع بينهما في مطعم فندق ميامي، لم تنس أبداً، ولا سامحت. وهي تكرهه الآن بنفس شدة المرّة الأولى.

عادت اليانور إلى انكلترا بعد تلك الحادثة بقليل، وناضلت بشجاعة قرابة السنة.. لكنها كانت ميتة في داخلها.. لقد ماتت منذ ذلك اليوم في كورسيكا.. وما تبقى مسألة وقت فقط.

عضت ليجي شفتها تمنع شهقة بكاء وهي تتذكر ذلك اليوم، منذ خمس سنوات، حين تلقت اتصالاً يقول لها إن اليانور ماتت.. وجدت وحيدة في شقتها منهية حياتها الشابة بجرعة كبيرة من الأقراص المنومة.. استمطرت ليجي اللعنات على اسم ڤيكتور دومارشيه أمام الخبر المريع؛ فهو الذي قتلها، وكأنه أطلق النار على رأسها.

طوال هذه السنوات، لم يتصل بالعائلة ليقدم تعازيه.. مع أنه لا بد أن يكون قد عرف بموت اليانور، وعرف في قرارة قلبه أنه هو من دفعها لهذا المصير. والحقيقة القاسية، أنه لم يهتم أبداً.. لديه أشياء أفضل من أن يضيعها في الحزن والندم.

ارتجفت ليجي وهي تذكر هذا.. حضنت نفسها بلف ذراعيها حولها بالرغم من حرارة الماء.. هذه هي أخلاق الرجل الذي وقعت

بين براثنه.. ولا عجب أبداً أن يرتجف قلبها لمجرد التفكير بالشرور التي قد يوقعها بها.

لم تنم ليجي سوى قليلاً تلك الليلة، وبشكل متقطع. كانت أول صورة تقفز إلى رأسها، وهي تتحرك لتصحو في الصباح التالي الباكر، الطيف القاتم المخيف لڤيكتور دومارشيه.

اللعنة عليه! فتحت عينيها، رمت عنها غطاء الفراش، وقفزت بكل تصميم من السرير، فليلاحقها إذا أراد، لكنها يجب أن لا تسمح له بتعذيبها هكذا!

فتحت الستائر، وتنفست عميقاً، نظرت إلى الخارج إلى أشجار النخيل اللامعة في الأسفل. سمح لها أن تتمتع بحريتها، طالما هي بحوزتها، وهذا بالضبط ما تنوي فعله!

استدارت متجهة إلى الحمام لتستحم.. أيمكن أن ينفذ ڤيكتور دومارشيه تهديده في رميها خارج المؤتمر؟ ربما كان تهديده مجرد كلام لا قيمة له، تفوه به وهو غاضب.. خلعت ثوب نومها، نفضت شعرها إلى الوراء، وقفت تحت الرشاش المتدفق بالماء.. لديه أشياء كثيرة يقوم بها أفضل من أن يزعج نفسه لأجلها.. طالما ستكون حذرة في البقاء بعيدة عنه، فستبقى آمنة.

طلبت الفطور إلى غرفتها متشجعة بمجرى تفكيرها هذا، وأحست أنها أقل توتراً بعد قطعة حلوى بالسكر، وعصير، وإبريق قهوة، فلقد خطر ببالها كذلك أن في يدها ورقة رابحة في أي معركة بينهما. إنها تعرف من هو وماذا فعل لاليانور بينما هو لا يعرف هويتها.

لم يكن لديها فكرة كيف يمكن لها أن تستخدم هذه الميزة.. لكن من يعلم؟ فقد تمكنها أخيراً من قلب الطاولات في وجهه!

بعد الفطور، ارتدت تنورة جذابة بلون الكريم وبلوزة زرقاء

مخططة بالكريم، وأسرعت إلى الأسفل لحضور أولى محاضرات اليوم.. كانت تنوي التوقف لرؤية مدير غرفة الطعام، وحل مشكلة الطاولة، لكنها قررت أن لا وقت لديها.. وستفعل هذا لاحقاً. أما في هذا الوقت فستبذل جهدها لتبقى في الطرف البعيد من قاعة المحاضرات!

لحسن حظها، وقعت عيناها عليه حال دخولها.. كان يجلس في الصف الأمامي، يرتدي بذلة زرقاء متوسطة اللون وقميصاً حاد البياض، يبدو فاتناً ومتعجرفاً كعادته دوماً.

كان يدير ظهره إليها وهي تدخل القاعة، رأسه الأسود الشعر محني دون اكتراث، يدرس بعض الأوراق، بينما يكمل حديثاً مع رجل أصلع يرتدي نظارة. أحست ليجي بقلبها ينعصر كراهية، وهو ينظر حوله ليعلق بشيء لصاحبه، ولمحت بنظرة سريعة جانب وجهه.

الأنف المستقيم القوي، مائل إلى الأسفل، كما ينظر إلى العالم تماماً. الذقن، الفائق الرجولة، العدائي المظهر، والجبين المرتفع الدال على الذكاء بحاجبيه الشبيهين بجناح الشيطان تحت رأس شعره أسود مصقول، وفاتن.. من قساوة الطبيعة أن تمنح مثل هذه الجاذبية المكتملة لهذا الرجل غير المكتمل الأخلاق!

أول محاضرة كانت لمدير شركة أبحاث من دوسلوروف في المانيا، وكانت ملفتة للأنظار.

ـ إذا كان هذا هو المستوى الذي نتوقعه، أستطيع القول إنني سعيد لمجيئي.

التفتت ليجي إلى جارها المتكلم، لتجد نفسها تنظر إلى عينين بنيتين في وجه منفتح ودود.

وأكمل يقول لها، يمد يده بمرح:

ـ مرحباً، أنا آلن، من فيلادلفيا.

ثم استدار إلى شاب أحمر الشعر قربه:

ـ وهذا كاري، إنه من بوسطن.

كان فيهما شيء دفعها للاستجابة لهما فوراً. بساطة وانفتاح، كانا ودودين جداً. صافحتهما بحرارة:

ـ مسرورة للقائكما.. أنا ليجي من انكلترا.. كنت أفكر لتوي فيما قلته. لقد سمعنا محاضرة مثيرة.

ـ أعتقد أن التالية ستكون جيدة كذلك.. فمن سيلقيها اضطر إلى ملء فراغ مكان شخص اضطر إلى الغياب.. سمعته من قبل منذ سنتين، وهو يعرف تماماً ما يقول.. لدينا نصف ساعة قبل البدء. ما رأيك بالانضمام إلينا لفنجان قهوة؟

لم تتردد وهي تقول:

ـ أود هذا.

ڤيكتور دومارشيه لا يمكنه إزعاجها وهي في رفقة الآخرين.. ولقد أعجبها مظهر الصديقين الجديدين على أية حال.. وقفت تدعوهما:

ـ سيرا أمامي، أكاد أموت شوقاً لفنجان قهوة!

كانت نصف ساعة لطيفة جداً.. آلن وكاري، كما اكتشفت، يعملان في نفس الحقل الذي تعمل فيه، لذا، كان للثلاثة الكثير ليتحدثوا عنه.. وكانت صحبتهما غير متطلبة. حين قرع الجرس وتوجهوا إلى مقاعدهم، أحست ليجي بالاسترخاء واستعادة النشاط.. الأفضل من هذا أنها حلت مشكلة طاولة الطعام.. فما إن ذكرت مشكلتها، مع إغفال ذكر ڤيكتور دومارشيه، حتى سارع الشابان لدعوتها للانضمام إليهما.

نسيت، مؤقتاً وهي مستقرة بسعادة في مقعدها لسماع

المحاضرة التالية، كل شيء عن دومارشيه لكن آلن لكزها في ذراعها.

ـ هذا هو.. الرجل الذي أخبرتك عنه، الذي اضطر للحلول مكان شخص آخر.

رفعت نظرها بفضول إلى المنصة، مع تفجر عاصفة من التصفيق. انخلع قلبها على الفور، وتلاشت ابتسامتها.

بالطبع، كان يجب أن يكون هو.. ومن غيره.. ڤيكتور دومارشيه! كان يجب أن تعرف أن لا خلاص لها.. وأن قدرها أن يؤثر عليها هذا الرجل الشرير، دون حدود!

راقبت مشدودة الشفتين، ساخطة لارتفاع التصفيق في القاعة الكبيرة، الرجل الطويل يسير بثقة عبر المسرح إلى المنصة.. ألا يمكن لشيء أن يزعج هذا الرجل؟ تساءلت مع تصاعد التوتر فيها بينما التصفيق يتلاشى، ويبدأ بالكلام، ودون آية ورقة أمامه.. ألا يمكنه أبداً أن لا يكون مسيطراً على أي شيء؟ ألا يمكن لشيء أبداً، ولو جزئياً، أن يقلقه؟

أسر اهتمام مستمعيه بعرض مهني مسهب لساعة كاملة، حتى أن ليجي، وهي تنضم مرغمة إلى عاصفة التصفيق في نهاية المحاضرة، كانت متأثرة بها جداً، ولو بشيء من الضغينة.. إنه لم يأت إلى هنا لمجرد إضافة انتصار جديد إلى لائحة غرامياته!

مال آلن عليها يصيح في أذنها:

ـ ألم أقل لك إنه جيد؟

هزت رأسها:

ـ أجل قلت لي.

كانت تتمنى طوال الوقت وهي تراقب ڤيكتور دومارشيه يغادر المنصة ويعود إلى مقعده لو أن النظارة يعرفون الرجل المختبىء وراء

واجهته. فليس من العدل، ولا من المناسب لمن هو مثل دومارشيه أن ينظر إليه عالمياً بهذه الرفعة.

قاطع آلن أفكارها مرة أخرى وهو يضع يده بود على ذراعها:

ـ هذه آخر محاضرة في الصباح.. فلنذهب الآن ونتناول الغداء.

وافقت ليجي:

ـ فكرة جيدة.

أحست بالابتهاج يسري في جسدها لتفكيرها بأن ڤيكتور دومارشيه سينتظر عبثاً أن تنضم إلى مائدته.

قال آلن:

ـ فلنحاول الوصول إلى غرفة الطعام قبل أن يتدفق الجميع إليها.

نظر خلفه ليتأكد من لحاق ليجي به، وسار خلف كاري نحو الباب.

انفصلت ليجي عن صديقيها الجديدين بسبب الزحام عند المخرج، ثم، مع توجه الجمع إلى الممر.. اختفى الشابان عن نظرها.. لعنت قدرها في سرها، وعيناها تبحثان في بحر الرؤوس والوجوه. أين اختفيا بحق السماء؟

ـ أتبحثين عني؟

استدارت مرتبكة لملامسة يد لذراعها، تتوقع رؤية آلن أو كاري إلى جانبها.. لكن، بدلاً منهما، وجدت نفسها تنظر إلى وجه مألوف جداً وعينان زرقاوان مشعتان، طويلتا الرموش.

بازدراء أجابت:

ـ لا.. أنا لا أبحث عنك بكل تأكيد!

تراجعت خطوة إلى الوراء لتصطدم بشكل أخرق برجل،

ترنحت بشدة للحظة، مع فقدانها لتوازنها، وكادت تسقط.. لكن يداً قوية امتدت لتنقذها في الوقت المناسب، وتعيد إليها توازنها.

لم تعجبها لمسة يده على بشرتها.. أحست كأن حديدة وسم شديدة الحرارة لامستها.

ـ تعالي؛ دعيني أرافقك بأمان بعيداً عن هذا الحشد.

قبل أن تلتقط أنفاسها، كان يجرها عبر الباب إلى الممر المتجه ناحية البهو، وهو يقول:

ـ استفقدتك عند الفطور. خاب أملي.. هل أطلت النوم؟

ـ لا.. في الواقع تناولت فطوري في غرفتي.

استدارت تنظر إليه عند نهاية الممر:

ـ والآن، هل تسمح، بكل لطف، أن تتركني.. فلدي موعد للغداء.

ـ حقاً.. لكن الموعد معي، شيري، وسوف تتناولين الغداء على طاولتي.

أحست بقلبها يهبط، وبدأت تحتج:

ـ هنا أنت مخطىء.

لكنها كانت تحس أن مقاومتها مضيعة كاملة للوقت.. وقاطعها فوراً:

ـ أنصحك أن لا تحاولي الجدال.. وتذكري حديثنا ليلة أمس.

أحست ليجي برعب لا سيطرة لها عليه.. إذن اعتقادها أن تهديداته ليست جدية حقاً، لم يكن سوى اعتقاد واهم.. نظراً للتعبير المتجهم على وجهه، كان ببساطة يفتش عن عذر حتى يستخدم الشريط المسجل ضدها.

وهي تشيح بنظرها عنه، مهزومة، ترك ذراعها وبيد واحدة على خصرها، جرها نحو غرفة الطعام. وقال متسلياً يشير برأسه إلى

الشابين:

ـ انظري.. صديقاك ينتظرانك. من الأفضل أن تذهبي لتعلميهما أنك غيرت خططك.. لكن، لطفاً، أسرعي قدر المستطاع.. سأنتظرك على الطاولة.

يساقين متصلبتين سخطاً، فعلت ليجي ما قيل لها. فإذا كانت تكرهه من قبل، فهي الآن تخافه أيضاً لإذلاله لها.. أيها الوغد ڤيكتور دومارشيه.. سأجد طريقة تجعلك تأكل التراب حتى لو كان هذا آخر شيء أفعله!

* * *

www.liilas.com

liilas.com
rayqh

٣ ـ خصم لا يرحم

لاعب ڤيكتور ليجي في اليومين التاليين كصياد ماهر يتلاعب بسمكة عالقة في صنارته.

أحياناً، كان الخيط يرتخي، وتجد نفسها حرة في الذهاب والمجيء كما تشاء دون الإحساس بعينيه تراقبان تحركاتها. لكن، حينما تبدأ تتمتع بحريتها، يشد الخيط بقوة.. هذا السادي العديم الأخلاق كان يبدو متمتعاً تماماً بسيطرته عليها.

كان الطلب الوحيد، حتى الآن، الذي طلبه منها، هو مجرد وجودها على مائدته وقت الطعام.. وجبات، كانت تتناولها بجهد، وصمت، وباختصار شديد.. ولحسن الحظ لم يكن هناك أي دليل آخر على مزيد من الابتزاز.

كانت سعيدة بحلول اليوم النهائي للمؤتمر، بشوق لتركه وراءها إلى الأبد.. قبل أن تمدد عطلتها لأسبوعين في «باربادوس»، على الأقل لن يكون هناك.

للغرابة، لم تجده على مائدة الغداء في اليوم الأخير، كانت قد رأته في قاعة المؤتمرات في وقت سابق، لكنه لم يلحق ببقية المؤتمرين حين توجهوا إلى الغداء.. وتناولت ليجي طعامها لوحدها على طاولتهما المعتادة.. تهنيء نفسها على حظها الجيد. تمكنت فعلاً من التمتع بما كانت تأكل لأول مرة منذ أيام، بدلاً من

ازدراده كالكلب الجائع!

كان لديها أكثر من سبب لاحتفال هادىء حين نزلت وقت العشاء، قبل الثامنة بقليل، فهي تعرف أن الأمسية كانت مميزة.. جوقة موسيقى راقصة ستعزف للمناسبة، وقد طلب من الجميع ارتداء ملابس رسمية. وحلت الساعة الثامنة، ثم الثامنة والنصف، ولا أثر لڤيكتور، بدأت ليجي تحس بارتفاع في معنوياتها.. ربما غادر ميامي، أو ربما أجبرته أزمة ما على العودة إلى فرنسا.

تنهدت آملة.. هذا في الواقع سيكون نعمة لها، وسيعني أنها لن تقع عيناها عليه ثانية، وسيعني هذا أكثر أنها حرة في التمتع بهذه الليلة.

لكن، وفي تلك اللحظة بالذات، ظهر شخص إلى جانبها:

ـ بما أنك وحدك ظننت أنك قد ترغبين في الانضمام لي ولكاري.

إنه صوت آلن.. رفعت رأسها لتجده يبتسم لها والدفء في عينيه البنيتين.. ولم تتردد:

ـ سأحب هذا تماماً.

حملت حقيبتها وسمحت له بمرافقتها. منذ تلك المصادفة السيئة قبل يومين حين أجبرها ڤيكتور على مرافقته، وبطريقة مذلة، تابعت ليجي صداقتها. وشرحت لهما علاقتها بڤيكتور بالقول إنه يعرف رب عملها، وقالت كاذبة:

ـ من المفترض أن أكون لطيفة معه.. وأنا مضطرة فعلاً لمشاركته مائدته.

لكن كل هذا أصبح وراءها الآن، وابتسمت لنفسها بانتصار، وهي تجلس إلى طاولة الشابين.

قال كاري:

ـ إذن، ستسافرين إلى «باربادوس»؟ كم أتمنى لو أذهب معك.

ابتسم آلن:

ـ تخلي عن فكرة بربادوس وتعالي لقضاء الأسبوعين في فيلادلفيا.

ضحكت ليجي:

ـ أحب أن أرى فيلادلفيا، وبقية أميركا كذلك. لكن، لا مجال لإقناعي بترك باربادوس.. إنها العطلة الحلم التي كنت أفكر بها.

هز آلن رأسه.

ـ حسناً.. على الأقل حاولي.. مع ذلك، يجب عليك، لو عدت مرة أخرى إلى أميركا، أن تبحثي عني، أرغب في أن أريك البلاد.

ابتسمت له.. آلن شاب لطيف.. كان يمكن وفي ظروف أخرى أن توطد معرفتها به. كان من ذلك النوع من الشباب الذي طالما تمنت أن تقع في حبه.. إنه بعيد ملايين السنوات الضوئية عن أمثال جيريمي.. لكن، ومع أنها خبرت بضع مغامرات عاطفية مع شبان مثل آلن خلال السنوات الثلاث منذ تحطم قلبها مع جيريمي، إلا أنها كانت مجرد مغامرات لم تتطور..

تنهدت لنفسها.. نساء عائلة دايلي لا حظ لهن في الحب. أمها تزوجت رجلاً فاشلاً تركها في وضع حرج مع ابنتين صغيرتين.. ثم ما حصل لأليانور فتجربتها مع جيريمي كانت تافهة بالمقارنة مع ما حدث لأليانور.. فقد كان لديه كرامة ليظهر لها خيانته قبل أن تتورط معه.. لكن علمتها التجربة على أي حال درساً مريراً.

ابتسمت لآلن:

ـ سأتذكر عرضك إذا عدت يوماً إلى أميركا.

ـ فتاة طيبة! فأنا أعني ما أقول.

ثم لامس ذراعها:

ـ ما رأيك بالرقص؟

دون تردد وقفت تؤكد له:

ـ أرغب في أن أراقصك.

ذراعاه حولها كانتا ناعمتين وهو يقودها في حلبة الرقص. وهما يرقصان، كانت ليجي تدندن بنعومة اللحن المألوف الذي كانت الفرقة الموسيقية تعزفه.. ففي الواقع، ولأول مرة في هذه الأيام العصيبة، كانت مرتاحة غير مضطربة وفي سلام مع نفسها.

لكن، بعد لحظات تبدد هدوؤها، وكأن ألعاباً نارية تفجرت في وجهها.. فقد انجذبت عيناها بقوة مغناطيسية، لتستقرا على الطاولة في الغرفة التي بدأت بها هذه الأمسية.. صدمة كهربائية سرت في جسمها لرؤية الجالس الأسمر الوحيد هناك.

أحست ببرد شديد يغمرها. إذن، لقد عاد.. ولم يسافر إلى فرنسا.. شعرت فجأة بالدوار لأنها عرفت أنه شاهدها، فالعينان الزرقاوان المشعتان كانتا تنفذان فيها.. انتزعت ليجي عينيها عنه، ودون إرادة منها، التصقت قليلاً بآلن تاركة خدها يستريح قليلاً على كتفه، بينما العينان العدائيتان تتابعان ملاحقتها، قاتلتان كحية رقطاء.

أحست بذراعي آلن تشتدان حولها.

ـ هل تتمتعين بالرقص؟

هزت رأسها دون تفكير:

ـ أجل.

لكن تفكيرها فارق حلبة الرقص، بل امتلأ بأحاسيس خوف سوداء.. لماذا عاد فيكتور الآن وبعد انتهاء المؤتمر؟ ولماذا يراقبها بهذه الطريقة الشرسة، وكأنه نسر على وشك الانقضاض على

فريسته؟

تساؤلها لم ينتظر الرد طويلاً:

ـ أعذرني.. هل لي شرف مراقصتها؟

فجأة، كان الجسم الطويل الأنيق لڤيكتور دومارشيه واقفاً عند كتف آلن الأيمن. وهو يبتسم، تلاشت الخطوط الخشنة عن قسماته، وشعّت العينان الزرقاوان بسحر فتان.

وكرر طلبه:

ـ هل لي بسعادة مراقصتها؟

لكن لهجته كانت مانعة لأي رفض.. حتى قبل أن يبدأ آلن بتركها، كانت يد سمراء لوحتها الشمس، قد امتدت، لتمسك ذراعها.

بالرغم من التوتر الذي أمسك قلب ليجي، إلا أنها لم تكن مرتبكة بقدر شريكها.. فبدأت الاحتجاج:

ـ هاي.. تمهل لحظة!

لكن قلبها خاص حتى معدتها حين تركت يد آلن خصرها، وسيطر عليها ڤيكتور دومارشيه بطريقة متسلطة.. وأكملت:

ـ ماذا تظن نفسك فاعلاً؟

رفع حاجبه الأسود:

ـ وماذا يبدو لك؟ أنا أتدخل لأراقصك.

بابتسامة رفيعة سعى آلن لتهدئتها:

ـ لا بأس ليجي.. تابعي الرقص.

بهزة كتف تراجع ليراقبها من جانب الحلبة. ابتسم دومارشيه بخبث وقال بصوت منخفض:

ـ أرأيت؟ شريكك لا يمانع أبداً.

ردت عليه بغضب:

ـ حسناً، ولكنني أمانع. لطفاً.. أتركني في هذه اللحظة!

لم تتغير بسمته، مع أن بعض السحر تلاشى من عينيه.

ـ لا مجال.. سترقصين هذه الرقصة معي شيري.. أحببت هذا أم لا.. لذا لماذا لا تسترخين وتحاولين أن تبدي وكأنك تستمتعين بالرقص؟

ردت بصوت منخفض حاد:

ـ أنت تطلب المستحيل.. ربما تستطيع إجباري أن أرقص معك، لكن لا مجال لأن تجبرني على ادعاء التمتع!

هز كتفيه بعدم اكتراث:

ـ افعلي ما شئت. وأعترف أنني أفضل شريكة أكثر ملاءمة. لكن، على المرء أن يتعلم كيف يستغل المتعة متى وجدها!

يا للنذل عديم الأخلاق! ألا يمتلك شيئاً من الخجل أو التردد؟ صرّت على أسنانها تنظر أمامها بينما كان يدور بها في الحلبة برشاقة وأناقة.

أخذت إبر واخزة من الأحاسيس تغزو عروقها بينما يده على ظهرها، والأصابع القوية الثانية تأسرها.

وجدت نفسها تجادل نفسها، ليس من المفهوم أن كل ملامسة يجب أن تجعل نبضاتها تتسارع.. مع ذلك لم تستطع أن تنكر أن هذا هو الذي يحدث، بالرغم من مقاومتها.

لا عجب إذن أن وقعت المسكينة ايليانور بيأس تحت سحره.. فهي لا شك كانت عرضة لهجوم أكثر حميمية بكثير من هذا! ووجدت نفسها تتساءل كيف هو الإحساس في المشاركة بشيء حميم مع مثل هذا الرجل المثير؟

السؤال أخجلها. حتى وهي تفكر فيه.. لكنها لم تستطع أن تمنعه من التسلل كالأفعى إلى دماغها، وأحست بالغيرة من أختها..

لقد تذوقت إيليانور هذه المشاعر، وهذا شيء لن تجرؤ هي على مثله أبداً.. فلتسمه جبناً، أو تعقلاً، لكنها لن تجرؤ على الاستسلام لرجل خطير مثل ڤيكتور دومارشيه.

فجأة أدركت أنه يتكلم، وجذبها بحدة من أفكارها المشينة.. قال:

ـ هل افتقدت رفقتي عند الغداء اليوم؟

قالت بجرأة:

ـ افتقدتك كمفتقد لجرعة من الطاعون!

ابتسم:

ـ أحب مزاحك الإنكليزي. إنه منعش، وماكر. لكنني أعتقد أنني تحملت ما يكفي منه الآن، وكذلك ما يكفي من الرقص. وأقترح أن نذهب إلى مكان فيه خلوة أكثر.. ولأكن أكثر تحديداً، إلى غرفتك شيري.

أجفلت وسألت متوترة:

ـ أرجو عفوك..؟ لا أظنني فهمتك جيداً.

ابتسم مرة أخرى:

ـ المزيد من المكر الإنكليزي؟

ثم وبإشارة واضحة المعالم: ليست إنكليزية ولا ماكرة، ترك أصابعه متعمداً تمتد إلى شعرها، لترسل أكثر المشاعر جنوناً إليها، وأكمل:

ـ لا تقلقي ستفهمين كل شيء عندما نصبح وحدنا.

لم يكن الاقتراح يعجبها أبداً. وبيراءة مؤثرة سألت بصوت أجش:

ـ وهل نحن حقاً بحاجة لأن نكون وحدنا؟ مهما كانت المسألة، ألا يمكن أن نبحثها هنا؟

هز رأسه الأسود الشعر:

ـ هيا الآن شيري.. أين هو حب الإنكليز للخلوة؟ ما إن تنتهي الموسيقى، حتى تذهبي وتعتذري من صديقيك، ثم تعودي فوراً إلى غرفتك، وتنتظريني هناك وحدك.. سأجيء إليك بعد نصف ساعة.. وتأكدي من فعل ما أقوله لك!

في تلك اللحظة توقفت الموسيقى، وبنظرة سوداء أخيرة، تركها ڤيكتور، لتشق طريقها إلى طاولتها. وهي تتقدم، وقف آلن بأدب، ونظرة قلق في عينيه:

ـ هل أنت بخير ليجي؟ تبدين شاحبة قليلاً.

شكراً لك آلن، إنها فاتحة رائعة:

ـ أجل.. أحس أنني متعبة. حدث لي هذا فجأة.

تنهدت ومررت يداً ضعيفة على جبينها تنظر إلى كاري كذلك، وتابع:

ـ هل تمانعان لو ذهبت إلى غرفتي؟ أظنني بحاجة لأن أستلقي قليلاً.

تحرك آلن نحوها:

ـ بالطبع لا.. سآتي معك. هيا، أمسكي ذراعي.. أنت فعلاً لا تبدين على ما يرام.

احتجت:

ـ هذا غير ضروري في الواقع.. سأتدبر أمري.

لكن آلن كان مصمماً:

ـ أنا قادم معك، فقولي عمت مساء لكاري، سنذهب.

لم يكن هناك أي داعي للجدال.. فصافحت كاري، وأمسكت ذراع آلن.. الموقف كان محرجاً بما فيه الكفاية. وهي تتجه مع مرافقها الشاب إلى بهو الفندق، لم تستطع إلا أن تتساءل عما إذا كان

ڤيكتور يراقبهما، وربما يستحسن تمثيلها بسخرية ولعنته في سرها لتسببه بهذا الإذلال الجديد لها.. لكنها كانت مرتابة في أن يكون إذلالها هذا شيء لا يذكر أمام ما ينتظرها.

أبقت وداعها الأخير لآلن قصيراً جداً.

قال بلطف وهي تتعثر بمقتاح الباب:

ـ هل أطلب من إدارة الفندق إرسال بعض الأسبرين، أو ربما شراب ساخن، إذا شئت هذا؟ أو أتصل بطبيب الفندق؟

هزت رأسها، لا سمح الله!

ـ لا.. شكراً.. سأكون على ما يرام.. أظن أن كل ما أحتاج إليه هو نوم جيد.

ـ حسن جداً، إذا كنت مصرّة على هذا.

ثم قطب وهي تفتح الباب:

ـ أنا آسف، لن أراك مجدداً قبل سفري.. فكما تعرفين، طائرتي إلى ڤيلادلفيا ستنطلق عند الصباح الباكر غداً. على أي حال.. أرجو أن تتمتعي بعطلتك في باريادوس.. وتذكري عرضي.. فأنا جاد فيه. لو عدت مرة أخرى إلى أميركا، اسعي للتفتيش عني، لديك عنواني.

ابتسمت له بحرارة:

ـ هذا غير محتمل، لكن لو حصل، فسأتصل بك.

مدت يدها له:

ـ وداعاً آلن.. وأرجو أن تكون رحلتك جيدة.

ثم أجفلت تماماً حين انحنى يقبل خدها.. وضغط على يدها:

ـ نامي جيداً.. وأرجو أن تتحسني في الصباح.

وهي تقفل الباب ورائها لم تستطع كبت ابتسامة.. كانت محقة بشأن آلن، إنه فعلاً شاب طيب، النوع الذي تتفق معه دائماً

بسهولة.. ومن المخجل حقاً أن تُحرم فرصة معرفته أكثر.

فتحت البراد لتتناول علبة من عصير البرتقال الجاهز، ثم أقفلته لتصب العصير في كأس. بعد سماع ضربة خفيفة على الباب، سارعت لترد.

قالت حين شاهدته يقف بالباب:

ـ أنت مبكراً

بطريقته المثالية، تجاهل احتجاجها، وألقى نفسه بارتياح على مقعد بذراعين.

ـ كان ذلك دوراً مؤثراً صغيراً لعبته مع صديقك.. وآسف إذا كان موعدنا هذا قد شوش خططك.

كيف يجرؤ على هذا الكلام؟

ـ لم تكن لدي فكرة أنك تسترق النظر للتجسس على الآخرين.. على قمة لائحة صفاتك الأخرى! كان يجب أن أعرف أن أي نوع من التسلية ليست رفيعة بالنسبة لك!

تراجع إلى الوراء وابتسامة صغيرة على فمه الخبيث:

ـ لا تغتري بنفسك.. لم أكن أتلصص عليك.. الذي حدث هو أنني وصلت إلى زاوية الممر في اللحظة الحاسمة.. لكنني سارعت إلى الانسحاب حتى تأكدت أن اللحظة انتهت.

استدارت، تغلي غضباً في داخلها، وأخذت كأس عصير البرتقال من فوق البراد حيث وضعته.. إنه يغيض كعادته، يغيظها بإحساسه الوضيع من المرح الذي لا معنى له.

رسمت على وجهها نظرة اشمئزاز، واستدارت إليه:

ـ قلت ونحن في الأسفل إن لديك ما تقوله لي.

جلست بكل وقار على مقعد قريب وارتشفت ملء فمها من العصير.. وأكملت:

ـ ربما تكون الآن لطيفاً بما يكفي كي تخبرني ما هو.

رفع حاجبه الشيطاني، وقال بنعومة:

ـ وهل قلت هذا.. هل قلت إن لدي شيئاً أقوله لك؟ أذكر جيداً قولي إنني أتمنى أن أراك على انفراد.

إنه محق، فهذا ما قاله.. لكن الشيء الذي كان يغيظها أكثر من سخريته التواء فمه العريض الجميل.. خاصة وأنها وحدها معه في الغرفة وتعرف أنها تحت رحمته.

ـ في الواقع.. أريد أن أقترح عليك شيئاً.

مد يده إلى داخل سترته وأخرج قطعة ورق من صحيفة مطبوعة.

ـ لكن، أظن أولاً أنك يجب أن تقرأي هذه.

كانت قصاصة من صحيفة محلية، تبدو كأنها مقالة إشاعات. عنوانها: «الحب بين الأدمغة المثقفة» لكن ما كان يحتاج إلى التركيز هو صورة صغيرة في إحدى زوايا المقال.. صاحت ليجي، بارتياع:

ـ إنها لي ولك! لا بد أن أحداً التقطها لنا هنا في الفندق، ونحن نتناول العشاء على طاولتك.

ابتلعت ريقها ببؤس.. من قال إن الكاميرا لا تكذب؟

أخذ ڤيكتور القصاصة من أصابعها المتجمدة فجأة:

ـ الصورة هي أقل ما في الأمر. انتظري حتى تسمعي القصة: المليونير الفرنسي اللعوب ڤيكتور دومارشيه الموجود حالياً في ميامي لحضور المؤتمر الدولي للبحوث العلمية، أخذ وقت راحة من مشاغله، ليمضي أمسية رومانسية مع آخر حب له: البنية الشعر الجميلة، ليجي دايلي من «سوراي» في اتكلترا..

سكت، ونظر إليها، فأحست بدمها يبرد..

إنه نفس الكلام الذي قرأته عنه مرات ومرات في الصحف على مدى سنين مضت.. في الماضي، كانت تهز رأسها مستنكرة،

وتدير الصفحة. لكن هذا مثير للسخط! كيف لأي كان أن يكون له هذا الذوق الفاسد ليكتب هذه القصة القذرة الزائفة عنها؟

ـ هل ترغبين في سماع المزيد؟ هناك بضع صور أخرى في نفس السياق.

اشتد ضغط شفتيها حتى أصبحتا خطاً رفيعاً.

ـ لا.. لا أريد سماع المزيد! ما أريده هو أن تتصل برئيس التحرير وتأمره أن يكذب قصته فوراً!

ابتسم ڤيكتور:

ـ أنت تطرين غروري «شيري» بافتراض أن لي مثل هذا السلطان.. على أي حال أمضيت معظم بعد ظهر اليوم في إدارة هذه الصحيفة أتحدث مع رئيس تحريرها.

ـ ألم تتمكن من إقناعه بنشر تكذيب؟

فك ربطة عنقه قليلاً وهز رأسه:

ـ لم أحاول حتى.. مثل هذا الكلام الهراء، بالرغم من أنه يثير التوتر، لا يضر أبداً..

بازدراء كامل، كوّر الورقة، ورماها، بدقة تصويب، إلى سلة المهملات في الزاوية.

ـ ولا يستحق الانزعاج.

هذا أمر يسهل عليه قوله!

ـ قد لا تظن هذا.. لكنني أخشى أن أقله أنا! تعرف جميعاً كم تحب أن تجذب اهتمام الصحافة لنفسك لكنني لست معتادة على نشر أشياء عني في مقالات الإشاعات!

نظر إليها بقسوة:

ـ وهل هذا صحيح شيري؟ حسن جداً.. ربما من الأفضل لك أن تبدأي بالاعتياد عليه.

أجفلت للهجة التهديد في صوته:

ـ وماذا يفترض بهذا أن يعني؟

أبقى عينيه ثابتتين عليها:

ـ إن سبب ذهابي للتحدث مع مدير التحرير اليوم هو الرسالة التي رافقت القصاصة، وسلمت باليد إلى الفندق هذا الصباح، خالية من أي اسم.

سألته بفضول وهو يحاول تسليم الرسالة لها:

ـ ماذا تقول؟

أعاد طيّ الورقة وأرجعها إلى جيبه، ثم مرر أصابعه الطويلة السمراء في شعره الأسود:

ـ ليست لدي فكرة عمّن أرسلها.. لم يكن شخصاً من الصحيفة.. وكان فيها تحذير، شيري، بأن أعدائي انطلقوا للنيل مني؛ وأنهم سيستخدمون كل الوسائل الممكنة ليشوهوا اسمي.

استمرت ليجي تنظر إليه بثبات.. ولم يدهشها أبداً أن تعرف أن له أعداء.. وقالت دون إشفاق:

ـ كنت أظن أن مهمتهم ستكون سهلة.. فرجل مثلك.. لا بد أن يكون له الكثير في ماضيه.. يخجل منه.

ابتسم بسخرية:

ـ يبدو أن هذا هو استنتاجهم كذلك.. فقد تكبدوا عناء التأكيد لي؛ أنه إضافة إلى الجواسيس الذين يراقبونني الآن ليلاً نهاراً، يوظفون عدداً من الخبراء لتبش ماضيّ الملوث.

وهذه مهمة يحسدون عليها.. أخذت رشفة كبيرة من العصير البارد، ثم سألت:

ـ وما الغرض من وراء كل هذا؟ لا أظنهم منغمسون في مثل هذه الإضاعة للوقت عبثاً؟

ـ بالفعل لا..

استند إلى الخلف في كرسيه، علّق أصبعه في خصر بنطلونه.

ـ واضح أن خطتهم هي محاولة منعي من الاستيلاء على شركة عقاقير محلية، أنا في الوقت الحاضر أتفاوض لشرائها.. والحصول عليها مهم جداً.. مستقبل المؤسسة كله قد يتأثر إذا فشلت المحادثات كما هو مخطط لها.. وهذا واقع يعرفه جيداً كاتب الرسالة المغفل الاسم.. ولهذا السبب أنا هنا، على فكرة، كي أتولى المفاوضات بنفسي.. فكما أشرت بحق في أول لقاء لنا، نادراً ما أجد الوقت لحضور المؤتمرات.

تنهد ثم مرر أصبعه على أنفه الجميل الشكل.

ـ وكالعادة حين يكون المرء متورطاً في عملية استيلاء على شيء ما يوجد منافسون محليون، مستشيطون غيظاً. ومراسلي المجهول، يعتقد أن في مقدوره، بنشر بعض الشائعات حولي، أن يقلب الميزان ضدي.

كاذباً من يكون، إذا كان قصده إسقاط ڤيكتور دومارشيه، فهي تتمنى كل الحظ له. لكن الأمر الذي يزعجها، في كل هذا، هو أنها أصبحت بشكل ما متورطة.

استقامت في مقعدها:

ـ إذن، ما هو الغرض من ذلك المقال في صحيفة اليوم؟ فكما قلت، إنه كلام عادي، ولا بد أنهم سيحتاجون إلى شيء أقوى بكثير من هذا؟

هز كتفيه العريضتين:

ـ أوه.. كان هذا مجرد اختبار.. لإقناعي أنهم فعلاً يراقبونني، وأن الصحف مستعدة لنشر القصص عني. وهذه الصحيفة هي التي قادت الحملة ضد عملية الاستيلاء بطريقة أو أخرى.. وسيكونون

أكثر من سعداء في نشر كل ما يمكن أن يضعوا أيديهم عليها.. ولهذا قررت أن أذهب وأواجه مدير التحرير «كوري» بعد ظهر اليوم. أردت أن أعرف من أوصل إليه القصة.

- وهل فعل؟

- لا. وكما توقعت، أصر على أنه لا يستطيع أن يكشف عن المصدر، لذا وجهت إليه تحذيراً جدياً بأنني سأقاضيه وصحيفته إذا نشر شيئاً سيئاً عني.

ارتجفت ليجي للقسوة السوداء التي حلت على وجهه فجأة، ارتجافة كأنها أصابع ثلج تمر على ظهرها. ڤيكتور دومارشيه عدو غير مريح.. عديم الرحمة.. قاس غير متسامح.. وبقيت ليجي صامتة وهو يتابع:

- كذلك زرت رئيس البوليس المحلي، لأضعه في الصورة.. واستأجرت لنفسي تحرياً خاصاً لمحاولة اقتفاء أثر من هو وراء كل هذا.

بدأت القصة تبدو لها وكأنها فيلم عصابات! قالت بصوت فيه شيء من الأسف:

- يبدو لي وكأنك رتبت الأمر كله.. ويبدو أنه من غير المحتمل أن يتمكنوا من أذيتك أبداً.

- ربما أنت على حق.. يبدو هذا غير محتمل.. لكن ليس هناك طريقة تجعلني أترك هذه المسألة، وسوف أنال شخصياً ممن هو وراءها وألقنه درساً لن ينساه أبداً.

اسود وجهه كظلام العاصفة:

- لا أحد يرسل لي تهديدات مجهولة، وينجو بفعلته!

- لقد كلفت التحري الخاص بتقصي الأمر.. ولا شك أن المسألة الآن مسألة وقت؟

نفخ بنفاذ صبر.

- الوقت.. هو شيء ينقصني في هذه المرحلة.. المفاوضات انتهت الآن ولجنة محلية ستقرر حول مسألة الاستيلاء خلال شهر.. ولهذا يجب أن أفعل شيئاً بنفسي.. التحري الخاص هو مجرد داعم لي، نوع من شبكة أمان، في حال فشلت.

استدار فجأة يواجهها:

- لكنني لن أفشل.. إذا ساعدتني.

رفرفت ليجي عينيها، مذهولة للاقتراح.. لماذا.. إنها تحيي في قلبها أعداؤه، فكيف تبحث عن طريقة لتساعده للخروج من ورطته؟

نظرت إليه نظرة متحجرة صافية:

- ولماذا أساعدك؟

إنه سؤال سخيف، وهذا ما أظهره على الفور:

- هناك مسألة صغيرة، الشريط!

ذلك الشريط اللعين.. ! كيف نسيته؟

- أعني أنني لو لم..

ابتسم بسخرية:

- هذا بالضبط ما أعنيه.. لو رفضت التعاون معي.. سأتقدم بشكوى رسمية ضدك لمنظمي المؤتمر. وبالطبع، مع إعلام مرؤسيك بإرسال نسخة من الشريط.

اندفعت تدافع عن نفسها:

- فات الوقت! ولن يفيدك هذا الآن! لقد انتظرت طويلاً.. فلماذا سعيت إلى صحبتي كل مساء وأنت تعرف أنني جاسوسة؟

- هذا من السهل شرحه.. أنت التي سعيت إلى صحبتي..

ووافقتك على أمل أن تعترفي لي على حدة بما تنوين فعله. وكنت آمل أن أتجنب الكشف عنك.. لأنك تبدين في الواجهة فتاة لطيفة، مكتملة.. لكن، للأسف..

قذف نظرة أسف ساخرة، ثم:

- في النهاية، أجبرتني، بطريقة ما، ولم تتركي لي حقاً أي خيار.

أحست بيد الهزيمة الباردة تقبض على خناقها. ومثل شقيقتها اكتشفت، أنه كاذب من الطراز الأول، وإذا أراد فعلاً، فسيجعل قصته تبدو حقيقية..

نظرت إليه باكتئاب وهو يكمل:

- أفهمت ما أعني؟ لا أمل لك. وأظن فعلاً أن من الحكمة لك أن تتعاوني.

شدت على أسنانها حتى آلمها فكها.. لا يمكن أن تواجه توقعات أكثر رهبة.. لكن، توقع خسارتها لتلك الترقية.. أو الأسوأ، كما تخشى الآن، وظيفتها نفسها، بدت إمكانية حقيقية مرعبة.. هذا الرجل كما تعرف، لن يوقفه شيء.

نظرت إلى وجهه بكراهية قلبية صادقة:

- ماذا تريدني أن أفعل؟

- هكذا أفضل.. أنا مسرور لتمكني من إقناعك بالمنطق.

دس يديه في جيبي بنطلونه، واستدار حول مقعدها.

- ما أريدك أن تفعليه، بسيط جداً، ويتطلب أبسط تعديل لخطتك..

أحست بقلبها يخفق بتوتر الارتقاب لما سيلي، لكن بعد لحظة توقف قلبها تماماً، وهو يقول بنبرات باردة:

- أنت، شيري، بانتظارك متعة لا مثيل لها.

جلس في مقعده مرة أخرى، ومال نحوها قائلاً:

- أنت وأنا سنكون بيننا علاقة حب مشبوبة!

* * *

www.liilas.com

liilas.com
rayqh

٤ ـ جنة الانتقام

كاد كأس عصير البرتقال الذي تحمله في يدها أن يقع، عيناها انفتحتا واسعتين كما تنفتح المظلة، تسأل برعب:

ـ ماذا قلت؟

ـ ما بالك؟ ألا تعجبك الفكرة؟ أؤكد لك أن هناك الكثير من النساء يعملن المستحيل للحصول على فرصة إقامة علاقة غرامية بفيكتور دومارشيه.

وابتسم بخبث، وفمه العريض يرتجف مكراً عند الزوايا.

يا للئافه الحقير!

ـ إذن دعهن يعملن المستحيل! فأنا آسفة لتخييب أملك! أنا لست واحدة منهن! وأعتقد أن لك جرأة وقحة لمجرد التفكير في مثل هذا الاقتراح!

اتسعت الابتسامة على شفتيه في مواجهة هذا السخط الشديد، إضافة إلى أن الرجل لا يملك ذوقاً مدركاً، فهو يمتلك دون شك إحساساً بشعاً بالمرح!

راقبته بقلق من مقعدها وهو يجر مقعده نحوها قليلاً..

ـ اهدأي شيري.. أنت تنظرين إليّ بخفة.. العلاقة التي أفكر بها ليست حقيقية، مجرد واجهة لمصلحة الناس فقط.

وماذا يفترض بهذا أن يعني؟ هزت رأسها وتابعت العبوس:

ـ أنا آسفة.. لا أفهمك.

ـ إذن دعيني أشرح لك.. كما قلت لك منذ لحظة، في نيتي أن ألقي القبض على من يكون وراء هذه الحملة التخريبية.. دون شك أستطيع أن أفعل هذا لوحدي.. لكنني قررت أنها قد تكون أسرع لو استعنت بمساعدتك لي.

ـ تستعين بي؟ أهذا ما تسميها؟ تكاد تصفها بأنها عملية طوعية!

ـ هيا الآن شيري.. دعينا لا نتجادل حول التفاصيل.. ما أنوي فعله هو الاعتماد على الاهتمام الذي يبدو أن علاقتنا قد أثارته.. الجواسيس الذين يراقبونني، يظنوننا منغمسين في علاقة حب متقدة..

صمت يابتسامة متعة شيطانية وهو يراقب القرف على وجهها. ثم تابع:

ـ.. إذن، لا شيء أكثر طبيعية من أن يمتع حبيبان مثلنا نفسيهما بنزهة على جزيرة مثالية نائية في الكاريبي؟.. ومن الطبيعي أن يلحق بنا الجواسيس، معتقدين أننا مشغولان ببعضنا أكثر من أن نلاحظ وجودهم.. ولن يلزمنا كثير من العناء لخداعهم، وللكشف عنهم.

وبينما هو ينتظر ردة فعلها، وضعت ليجي كأس العصير من يدها، ونظرت إليه بعينين رماديتين عدائيتين.. ما كل هذا الكلام عن نحن، ومعاً..؟ إنه لا شك يفترض، حتى قبل توضيح خطته لها، أنها ستوافق على تنفيذها.. لكنها لم تنفوه بالاعتراض، لأنها تعرف كيف يرد عليها.. هكذا استمرت في التقاط العيوب في منطقه.

ـ بكل تأكيد، بعد التهديد، سيتوقعون أن تكون حذراً. ولو سألتني رأيي أقول إنهم سيشكون على الفور بأن كل هذا مجرد فخ.

ابتسم لها:

ـ محاولة جيدة، لكن التحليل النفسي، كما أرى، ليس من فضائلك القوية.. فبعيداً عن الاعتقاد بالفخ، سيفترضون ببساطة أنني أتصرف حسب شخصيتي المعروفة.. ولن تكون هذه المرة الأولى في حياتي التي أقضي فيها إجازة مع شابة جميلة.

بالفعل لا.. وهو يصمت لحظة للتأكيد على وجهة نظره، رأت ليجي أن محاولتها فاشلة، ولم يخيب أملها وهو يتابع:

ـ أعدائي ليسوا غرباء عني، وأنا واثق من هذا، ويعرفون أنني لست من النوع الذي قد ينهار فجأة في وجه التهديد.. ويعرفون أنني لا أغير طريقة حياتي بسهولة.. وأنا واثق أنهم قد يرتابون لو فعلت.. في الواقع يعرفون أن كبريائي ستدفعني لمعاملة تهديدهم بالازدراء الذي يستحقه.

لا يمكن لليجي أن تجادل في هذا، وهي تكبح ابتسامة دهشة لإظهاره هذه المعرفة.. على الأقل، هو قادر على أن يكون صادقاً حول نفسه، ويعترف أنه زير نساء متعجرف، يضع نزواته الأنانية ورغباته قبل أي شيء.

لكنها تجاهلت تعليقه التالي وهو يقول:

ـ من الطبيعي، أن يصدقوا كل هذه الأمور، لأنهم يصدقون كل الهراء الذي يقرأونه عني.

هراء! يا سلام! نظرت إليه ساخرة، وصورة مفاجئة لألبانور تقفز إلى ذهنها. إنها تعرف شخصياً كم هو صحيح ما يدعوه بالهراء لسوء حظ فيكتور.

ضيقت عينيها محاولة من جديد التخلص من الفخ الذي يتراءى لها:

ـ لماذا لا تذهب إلى تلك اللجنة التي ذكرتها.. تلك التي

ستقرر مسألة البيع.. وتشرح لها ما يجري؟ يمكنك بهذا تحذير أعضائها مقدماً، من أن يصدقوا القصص المسيئة التي قد تظهر عنك في الصحافة.

ـ وأبذر في أذهانهم بذور الشك؟ لا.. فلست أنوي الانتحار المهني.. على أي حال، حتى ولو حاولت إقناع اللجنة، فمثل هذه القصص قد تثير الناس عليّ. وسأجد نفسي مرة أخرى حيث بدأت.

ابتسمت لفكرة خطرت لها:

ـ أقم دعوة ضد الصحيفة.. وامنعها من نشر أية أخبار مسيئة.

ابتسم بدوره:

ـ محاولاتك لمساعدتي مؤثرة جداً.. على أي حال، أخشى أن يكون هذا الاقتراح فاشلاً كذلك. فحتى لو نجحت في الحصول على حكم محكمة، فإن أعدائي قد يتصلون بصحيفة أخرى، ولا يمكنني الحصول على حكم ضد كل الصحف في العالم.

إنه منطق لا يمكن مغالطته!

وأحست ليجي أنها محاصرة. إنها لن تصل إلى أي مكان، كل جدال ذكي تفكر به، يواجه برد أذكى بكثير، وردت بتوتر مفاجيء:

ـ لا أرى لماذا يجب أن تفعل شيئاً، بنفسك، على أي حال.. قلت لي إنك استخدمت تحرياً خاصاً.. فلماذا لا تترك الأمر له؟

ـ قد أضطر لهذا في النهاية.. لكن كما سبق وقلت لك، التحري الخاص مجرد دعم لي، وأنا أفضل أن أحل اللغز بنفسي.

إنه عنيد مثير للأعصاب!

ـ أتفضل أن تشتري كلباً ثم تنبح بنفسك؟

ضحك فيكتور لهذا التشبيه.

ـ إذا كنت ترين الأمر هكذا، نعم. لكنني آمل أن أقوم بأشياء أكثر بكثير من النباح.. في الواقع أنا أتطلع شوقاً إلى لذة غرز

أستاني في وجوههم المجرمة.. هذه ليست لعبة.. إنه تحد شخصي، لا أنوي أبداً النكوص عنه.

انكمشت ليجي.. لقد حصلت على الرد.. كل الجدال المنطقي الذي تبرع به، سيكون مضيعة للوقت معه، وتعرف هذا الآن.. إنه يدخل هذه المغامرة، متذرعاً بالمنطق، ويجرها إليها، لمجرد اللذة البدائية المغرورة، في معركة وجهاً لوجه. لا يكفيه إلقاء القبض على مهدديه، بل يجب أن يحصل شخصياً على لذة تسديد الضربة النهائية!

اللعنة عليه.. واللعنة على غروره الرجولي..

صاحت به:

ـ حسناً.. أنا لن أتعاون معك! فالأمر ليس ضرورياً ولن أقوم به!

فجأة، ودون مقدمات، مال نحوها، ممسكاً ذراعي مقعدها بشدة:

ـ أوه.. لا شيري!

وقبل أن تستطيع القيام بشيء يمنعه، شد المقعد إليه.

مع إمساكه لها سجينة ذراعيه.. أحست أن قلبها يخفق بجنون، وكأنه مخلوق برّي مذعور، يكافح ليتحرر.. حتى أنها أحست بأنه يضرب ضلوعها.. قوة ضرباته كانت تجمد الأنفاس في حلقها.

دفع بوجهه إلى وجهها، مما جعلها ترتد إلى الوراء:

ـ أجد من المضجر جداً أن أستمر في تذكيرك بطبيعة الموقف بيننا.

هز المقعد بشدة، مما جعل عظامها تهتز.

ـ هل ذاكرتك ضعيفة إلى هذا الحد.. شيري.

لا شيء أبداً خاطىء في ذاكرتها.. صوتها وحده في تلك

اللحظات بدا أنه هجرها.. فقد فتحت فمها لتحتج بشدة، لكن كل ما خرج منه كان مجرد فحيح غير مفهوم.. فقال بحدة:

ـ بكل تأكيد لا ترغبين في أن تجبريني على كشفك؟ فهذا، ولكليتا سيكون خسارة رهيبة.

هزت ليجي رأسها.. يا للوغد المنافق!

ـ لا أستطيع الموافقة على ما تقترح!

انعقد حاجباه الأسودان:

ـ ولماذا لا؟ هل هناك مانع لم تذكريه لي؟ ذلك الأميركي الشاب.. صديقك، مثلاً.. هل خططتما أن يلحق بك إلى باريادوس؟

للحظة يائسة، كانت على وشك أن تقول نعم.. والكذبة تستحق العناء. ولو أنها تعيقه مؤقتاً. لكنها تعرف جيداً أن كذبتها لن تغير شيئاً، حتى ولو كانت صحيحة.. رجل مثله لن يسمح لأمثال آلن في العالم أن يقفوا في طريقه، فهو يزيحهم بكل بساطة من طريقه، أو يدوس عليهم، كما فعل باليانور تماماً.

هزت رأسها بوقار، وأكدت له:

ـ لا.. آلن ليس مسافراً معي.

ـ حسن إذن.. شيري..

هزها مرة أخرى:

ـ هذه مشكلة انتهينا منها.. فهل هناك مشاكل أخرى أغفلت ذكرها لي؟

فقط، أنني أكرهك وأحتقرك.. وبكل ذرة من كياني.. وأنني لن أسامحك لما فعلته باليانور.. وأنني أصلي أن تتعفن في جهنم إلى أبد الآبدين!

لكنه كان بانتظار ردها:

ـ إذا لم يكن هناك مشاكل أخرى، أعتقد أنني قادر على الافتراض أنك ستقبلين.. أن تتعاوني معي؟

نظرت ليجي إلى وجهه، وهي على حافة الهزيمة، تكره نفسها. كيف ستعيش بعد الآن مع نفسها، وهي تعرف أن هذا العدو المرير، قد استطاع التسلط عليها ودفعها إلى العمل معه كحليف؟ ما كان يجب أن تسعى لخلاصه.. بل إلى دماره.

ثم أتتها فكرة من حيث لا تعلم.. فجأة، ما كانت تصلي لأجله، كان ينظر إليها وجهاً لوجه.

أطرقت رأسها في جهد لمقاومة ابتهاجها المفاجىء، ولإظهار الخضوع، وتمتمت بانهزام:

ـ ليس لدي الخيار.. سأفعل ما تقول.

لكن، وهو يتركها أخيراً ويقوم عن مقعده يهز رأسه برضى لهذا الاستسلام، كان قلبها يحلق ابتهاجاً في السر.

فجأة واتتها الفكرة وكأنها نور سماوي.. وعرفت كيف ستنتقم!

انتظرت ليجي طلوع الصباح بفارغ الصبر.

معظم ليلها، استلقت في الفراش، تخطط، فكرها متهلل بما تخططه. إنها خطة واضحة جداً. وابتسمت في الظلام.. كيف انفق أنها تأخرت هكذا للتفكير بها؟

على أي حال، من الأفضل التفكير المتأخر، من أن لا تفكر أبداً.. وللمرة التي لا عد لها، ضغطت زر الإنارة في ساعتها.. لكنها لم تكن لتهتم فعلاً، نامت أم لا. فهناك الكثير لتفكر به، والكثير لتجد له حلاً.. فالمهمة أمامها محفوفة بالخطر.. وفكرت مرتجفة: لتحمها السماء! لو عرف ڤيكتور دومارشيه!

استيقظت باكراً في الصباح التالي، استحمت، وارتدت ثيابها

أبكر من عادتها.. احتست ما لا عد له من القهوة السوداء.. لقد أمرها ڤيكتور أن تقابله في البهو عند التاسعة والنصف، حقائبها جاهزة ومستعدة للطيران إلى «باربادوس» وهذا يعني أن وقتها محدود جداً.. ويجب أن تقوم بتحركها بين التاسعة والتاسعة والنصف..

لحظة لامس عقرب الساعة التاسعة تماماً، التقطت سماعة الهاتف، وطلبت الرقم الذي أمضت الليل تستظهره.. رن الجرس مرتين:

ـ مكتب تحرير صحيفة «بوغل».

قفز قلب ليجي إثارة وتوتراً، وابتلعت ريقها بسرعة لترطيب حلقها الجاف.

ـ أريد التحدث إلى مدير التحرير، سيد كوبي.

ـ السيد كوبي لم يحضر إلى المكتب بعد.. أترغبين في ترك رسالة له؟

تأوهت ليجي في نفسها إحباطاً.. فهذا ما كانت تخشاه.

ـ لا.. يجب أن أكلمه شخصياً.. متى تتوقعين وصوله؟

ـ بعد العاشرة بقليل.. هل أطلب منه الاتصال بك حين يصل؟

في العاشرة، ستكون في طريقها إلى المطار، ومن هناك ستغادر مباشرة إلى «باربادوس» وأحست بذعر مفاجىء.. فهل ستفشل بسبب نصف ساعة؟ لا.. وأخذ دماغها يعمل بسرعة:

ـ هل هناك شخص آخر أستطيع أن أكلمه؟ ماذا عن المرأة التي تكتب مقالة الشائعات؟

ـ الآنسة ديانا ايقرارد؟ ليست هنا أيضاً، لكنها تصل عادة حوالي التاسعة والنصف.

أحست أنها ستبكي من الإحباط.. فأينما استدارت وجدت

جداراً أمامها.

- في حال وصلت باكرة، أتركي لها رسالة واطلبي منها أن تتصل بي فوراً.. فالأمر عاجل حقاً، وسأكون على هذا الرقم لمدة نصف ساعة فقط.

سجلت السكرتيرة الاسم والرقم، وعلقت ليجي السماعة.. لم يبق أمامها سوى خمس وعشرين دقيقة وإذا لم تتصل هذه المرأة، ايفرارد، في هذا الوقت فستضطر إلى التخلي عن الخطة كلها.

كانت تذرع الغرفة كقطة على رماد فرن ساخن، حين رن جرس الهاتف الذي جعلها تقفز مجفلة من فوق السرير لتمسك السماعة.

- آلو؟ ليجي دايلي تتكلم.

- صباح الخير شيري.

غاص قلبها كبالون من الرصاص، وعلقت أنفاسها بحلقها.

- أتصل لأذكرك، أننا سنلتقي بعد عشرين دقيقة.

ردت بلهجة حادة:

- لم أنسَ.. لا تقلق.. سأكون هناك، وداعاً.

وأقفلت السماعة.

حتى الآن، كانت قد وصلت إلى حد الصراخ.. أعصابها الضعيفة كانت تتمدد مثل شريط البيانو المشدود، كان يجب أن تعرف أن مشروعها هذا لن يصل إلى شيء.

نظرت بيؤس إلى ساعتها.. التاسعة، وثلاثة عشر دقيقة.. أحست وكأنها تعد الدقائق لموعد إعدامها. نظرت إلى صورتها في المرآة.. محاولة رائعة ليجي.. من المؤسف أن تفشل.

ثم، ومع بدء موت أملها، انبعثت الحياة في الهاتف دون أن تجرؤ على الأمل، رفعت السماعة، وقلبها متجمد.. كادت تبكي فرحاً لسماعها صوت أنثوي متشدق:

- ديانا إيفرارد.. أعتقد أنك تريدين التحدث إليّ؟

لزمها خمس دقائق لتقول لها ما حضّرته.. فقد حفظته غيباً ولمرات لا عد لها.. أحست بتأثر عميق وهي تروي للمجهولة في الطرف الآخر من الخط قصة ايليانور وكيف قتلها دومارشيه.

في نهاية كشفها، صمتت قليلاً، ثم قالت لها الآنسة ايفرارد:

- تدركين طبعاً، أننا يجب أن نتحقق من القصة بأنفسنا قبل أن ننشرها؟

- تحققي كما تشائين. كل كلمة قلتها هي الحقيقة.. وكما قلت لك، أنا أنوي انتزاع المزيد من الأسرار منه.. أي نوع أنا متأكدة أن صحيفتكم ستهتم بنشره.. فأنا متلهفة كذلك، لمنع عملية الاستيلاء.

بدا أن المرأة الأخرى تفكر بكلماتها:

- فهمت.. وأنا واثقة أننا سنهتم بأية قصص قد تبلغينا بها.

حين أعادت ليجي السماعة مكانها هذه المرة، كانت يداها ترتجفان دون أن تتمكن من السيطرة عليهما.. معدتها منقلصة، وكأنها مزيج من الاسمنت، ثقيلة بطعم الحلاوة المرة للانتقام.. لقد فعلتها! وهنأت نفسها، كان رأسها يترنح من هول ما فعلت. لقد دفعت فعلاً العجلات إلى الحركة.. العجلات التي ستحمل ڤيكتور دومارشيه في النهاية إلى دماره الذي يستحقه جيداً.

* * *

- استرخي شيري.. حاولي الابتسام قليلاً.. تذكري، من المفترض أننا حبيبان حالمان، ننطلق في رحلة كاريبية مثالية.

عنده تلاعب خيالي بالكلمات.. وسمت سراً للخلاص من الذراع التي كان يضعها بشكل مألوف حول خصرها.. كانا يتسلقان سلم الطائرة التي ستقلهما في رحلتهما إلى باربادوس.. اسم أصبح

الآن يرسم لها صورة مختلفة عن تلك الجنة المستحمة بالشمس، الخالية من الهم، والتي حلمت بها يوماً.. فالتجسس والخطر، ينتظرانها هناك!

بدلاً من تعذيب نفسها بعقدة الذنب والقلق، من الأفضل لها الآن أن تركز على ما أمامها من مهمة.. كيف ستتمكن أن تجد توازناً بين دورين تلعبهما الآن.. من ناحية، هي رفيقة ڤيكتور بالقوة، وفي نفس الوقت، يجب أن تشق طريقها بدفء إلى ثقته بها بما يكفي لتشجيعه على مصارحتها.

لن تكون مهمة هينة.. فلو غيرت تصرفاتها معه فجأة، لارتاب بها، وهذا طبيعي. مع ذلك، من الضروري أن تتصرف بسرعة.. فأمامها وقت محدود يجب أن لا تضيعه، لتجمع قدر ما تستطيع من الأدلة ضده.. ولن تسنح لها مثل هذه الفرصة للانتقام منه، مرة أخرى.

استغرقت الرحلة من ميامي إلى «باربادوس» أقل من أربع ساعات بقليل؛ كان للبيجي خلالها فرصة التنعم، ولأول مرة في حياتها، بالسفر في الدرجة الأولى.

قال لها ڤيكتور:

ـ أنا دائماً أسافر في الدرجة الأولى، وكذلك السيدات اللواتي يرافقنني.. وبالطبع، أجريت الترتيبات اللازمة لإقامتنا.. حين نصل، بإمكانك إلغاء الحجز في فندقك.. وسأدفع أي مبلغ قد يطالبون به. أنا واثق أنك سترتاحين أكثر حيث نحن ذاهبان.. على الأقل ستكونين متأكدة أنه ليس هناك صراصير.

عبست في وجهه، فقال:

ـ ابتسمي! حاولي إقناع من يرانا.. إذا أصريت على التجهم فسيرتابون بأنك تحقدين عليّ.. أو أنني لا أغازلك بما يكفي.

إنه دون خجل.. بغيض، بلا أخلاق تماماً.. كما تعرفه دائماً. لكن على الأقل، ها هي تلعب دورها المزدوج جيداً.. وهو حتى الآن لا يشك بشيء.

أخيراً أخذت الطائرة تهبط نحو الأرض، وللحظات نسيت ليجي كل ارتباكها وهي تميل باهتياج لتنظر خارج النافذة.. أمام المنظر الذي واجهها، شهقت عجباً.

تحتها، كان البحر يمتد إلى ما لا نهاية، أزرق ياقوتي ملتمع تحت أشعة الشمس وكأنه جوهرة ضخمة لا ثمن لها. في وسطه جزيرة زمردية خضراء صغيرة، لا تزيد كبراً عن حجم منديل في البداية، لكنها كانت تكبر وتكبر، وتزداد جمالاً يقطع الأنفاس مع استمرار الطائرة في الدوران نحو الأسفل.. إنها الجزيرة السحرية باربادوس، جنة الكاريبي.

استطاعت الآن أن تميز كل شجرة نخيل على حدة. والمجموعات الفخمة من المنازل المتعددة الألوان، والشواطىء التي لا عد لها، والتي تحيط بالجزيرة وكأنها شريط فضي شاحب..

مال ڤيكتور من ورائها ينظر إلى الأسفل.

ـ جميلة، أليس كذلك؟

هزت رأسها موافقة.. لن تستطيع جدالة هذه المرة على الأقل، فهي لم ترَ شيئاً يماثل هذا الجمال في حياتها.

رحلة التاكسي من المطار، كانت مماثلة في الإثارة.. أخذت عيناها تنتقلان من جانب إلى آخر بانشداه كامل للجمال البراق، تستوعب التلال الخضراء المتموجة، المرقطة بالخباز البري القرمزي وبغابات من النباتات المتعرشة الزاهية والكاريبي العظيم المتدفق، وفيه كل ألوان الأزرق المتدرجة التي يمكن للمرء أن يتصورها.

كانت تتوقع أن تكون الجزيرة استوائية جميلة.. لكن فتنتها

الساحرة، خطفت أنفاسها.

عادت إلى أرض الواقع مجفلة مع انتقال التاكسي من الطريق الرئيسي إلى طريق فرعي.

مرا عبر بوابتين مرتفعتين دون سابق إنذار، تحملان لوحة «الخليج القضي» وكان الاسم الذي سمعت ڤيكتور يذكره للسائق وظنته اسم فندق. لكن ما يقتربان منه عبر طريق داخلية محفوفة بأشجار النخيل، ليس فندقاً.. البناء الفخم، بشرفاته وتراسه، واضح أنه ڤيلا خاصة.

بإجفالة حذر، استدارت إلى ڤيكتور:

- إلى أين تأخذني؟

رفع حاجبه وابتسم لها:

- ما بالك؟ ألا يعجبك؟

لم تكن المسألة أن يعجبها أم لا، ولا مجال لإنكار مظهر المكان الرائع.. ما يهم هو أنها ڤيلا خاصة.. بعيدة أميالاً عن أي مكان.. نظرت إليه بعينين رماديتين ضيقتين.

- ظننت أننا سنقيم في الفندق.

رد على نظرتها بابتسامة خبيثة:

- لا.. لا شيري. عاشقان مثلنا يتطلبان الخلوة الكاملة.. وهنا.. سنكون معاً وحدنا تماماً.. دون شك ما كنت تتمنين إزعاج الفندق.. مع الناس حولنا باستمرار؟

لكن هذا بالضبط ما كانت تتمناه.. أن تكون محاطة بوجود الآخرين.. وتوقفت السيارة في فناء مليء بمساكب الأزهار أمام المنزل.. ونزل السائق ليفتح لها الباب.

الباب الرئيسي للمنزل كان في الطابق الأول، سلم خشبي يرتفع نحوه وتحيط به شرفة.. فجأة انفتح الباب، وظهرت امرأة من

السكان المحليين مبتسمة، نزلت بسرعة من السلم لتستقبلهما.

- أنا مارولا.. أرسلتني الوكالة لأعتني بكما.

أشكر السماء على هذا! بارتياح، ردت ليجي على ابتسامة المرأة، ملاحظة ثيابها: فستان أحمر مقلم، مئزر أبيض ناصع، ووجه رضي تحت قبعة تشابه العمامة مخططة بالأحمر.. إذن، لن تكون ڤيكتور لوحدهما تماماً.. وهذا ما جعلها تحس أنها أفضل حالاً!

سألتهما مارولا ما إذا كانا يرغبان في شراب بارد ووجبة طعام خفيفة، بينما تفرغ لهما الحقائب.. فهزت ليجي رأسها، الحرارة في الخارج كانت شديدة وشراب بارد هو بالضبط ما ترغب به الآن.. لكن، قبل أن تقول هذا، قطع ڤيكتور المسافة بينهما ودس ذراعه حول خصرها، ولرعبها سمعته يقول:

- لا أظن هذا.. ليس الآن مارولا.. فالآنسة دايلي وأنا نفضل أن نكون لوحدنا.. ربما يمكنك أن ترشدينا إلى غرفة النوم الرئيسية.

استدارت مارولا بابتسامة معرفة ماكرة، لتشير إلى الممر الرخامي.

- إنها هناك إلى اليسار سيدي، وهي جاهزة. وستجدانها مريحة جداً.

رد بصوت منخفض:

- ممتاز.

ثم استدار ليلقي ابتسامة في وجه ليجي المحمر:

- الآنسة دايلي وأنا.. ستتناول وجبة ما فيما بعد. ربما بعد ساعتين.

ما هي إلا لحظات حتى كان يقودها، بالرغم من ممانعتها المتصلة.. في الممر إلى غرفة النوم.. المنتظرة..

* * *

liilas.com
rayqh

٥ ـ لعبة بلا قوانين

ما إن أصبحا داخل الغرفة، حتى انتزعت ليجي نفسها من ذراعه المحتضنة لها.. الحدة اليائسة لحركتها، أرسلتها متعثرة فوق الأرض.. لكنها تمسكت بالجدار واستدارت لتواجهه قائلة:

ـ ما الذي تظن نفسك فاعله؟ ألا تظن أنك تبالغ؟

ـ أبداً شيري.. من الطبيعي أن نرغب في أن نكون لوحدنا.. هل نسيت أننا عاشقان؟

ـ لا.. لسنا عاشقان! نحن فقط ندعي هذا! وعلى أي حال، في رأيي، أنت تدفع الأمور إلى البعيد كثيراً!

هز ڤيكتور رأسه ببطء ونظر إلى وجهها الأحمر.

ـ ما بالك، ألا تمتلكين في نفسك أية عاطفة؟ أليس لديك خيال؟ واضح أنك لم تعرفي علاقة حميمة من قبل، وإلا ما كنت مضطراً لأن أشرح لك الاندفاع الملح لحبيبين يريدان أن يكونا لوحدهما.

على الأقل هذا شيء هو محق فيه.. لم يسبق لليجي أن كان لها علاقة حميمة في حياتها، ولا أي نوع آخر من العلاقات. أما بالنسبة للخيال، والعاطفة، فلديها ما يكفي لتحس أنها في خطر مطبق.. والعاطفة في نفسه هو، هي التي تقلقها.

وبدا أن ڤيكتور يستطيع قراءتها ككتاب مفتوح. بابتسامة

فاسقة، أدار المفتاح في قفل الباب، ثم وضعه في جيبه:

ـ بما أنك بمثل هذه البراءة، أرى أن عليّ أن أعطيك التعليمات.. يجب أن نتعامل فوراً مع هذه الفجوة المحزنة في ثقافتك، ما شيري..

خلع سترته ورماها على ظهر كرسي. ثم أرخى ربطة عنقه، وجلس على السرير يخلع حذاءه.

الرجل لا يطاق! ما الذي يقترحه؟ أحست ليجي نفسها مجمدة على الجدار.. قاومت باختناق لتسيطر على نفسها:

ـ عما تتحدث؟ ولطفاً، اشرح لي لماذا أقفلت الباب بالمفتاح؟

ـ للخلوة ماشيري.. لن نرغب أن يزعجنا أحد.

فك ياقة وأكمام القميص، ثم مال مستنداً إلى كومة وسائد ناعمة. شعره كان براقاً كسواد منتصف الليل، أمام بياض الأغطية.. كانت ذراعاه وهو يرفع كم القميص قويتا العضلات وشديدتا السمرة.

ربت على الغطاء إلى جانبه:

ـ تعالي شيري.. تعالي واجلسي هنا.

لم تتحرك ليجي قيد أنملة:

ـ لماذا؟

ـ لماذا.. كي أتمكن من إرشادك إلى خفايا الحب. فأنت، كما فهمت، تجهلين هذه الأمور.

نظرت إليه بغضب.

ـ أنوي أن أبقى هكذا!

لو تجرأ على القيام بحركة واحدة نحوها، فستصرخ إلى أن تدمر هذا المنزل اللعين!

لكنه لم يتحرك، بل ابتسم قائلاً:

ـ إهدأي ليجي.. لا شيء تخافين منه.

فتح زرين من قميصه وهو يمعن النظر إليها:

ـ أؤكد لك أن نوع التعليمات التي في ذهني هي نظرية بالكامل، وليست عملية. بماذا تفكرين؟

لاحظ الارتياح والنظرة البلهاء التي غمرت وجهها:

ـ هل فكرت أنني أنوي اغتصابك بالقوة؟ لا شك أنك تعتبرينني يائساً حقاً كي ألجأ إلى مثل هذا التصرف الوحشي؟

أحست بالإهانة لمجرد قوله «يائس حقاً» فردت عليه بحدة:

ـ وما المفترض بفتاة محترمة أن تظن غير هذا؟ حين يقفل رجل الباب عليها في غرفة نوم ويضع المفتاح في جيبه.. أظنها ستكون معذورة في مثل هذا الاستنتاج!

ـ إذن هذا ما أقلقك؟ لكن لا يجب أن تقفزي إلى استنتاجات لا أساس لها.. إقفالي الباب، هو لأجل مارولا.. وللتأكيد على حاجتنا أن نكون لوحدنا، دون خوف من المقاطعة.. ولم يكن القصد إخافتك.

نظرت ليجي إلى عينيه، نصف مصدقة لما يقول. فواقع أنه لا ينوي إطلاقاً فرض نفسه عليها، دون شك صحيح. فيكتور دومارشيه، المغوي الكبير، لن يكون بحاجة لهذا. فزواته تعتمد على رقة سحره وجاذبيته، التي تبرز منه في كل التفاتة.

أما ادعاؤه أنه لم يكن ينوي إخافتها، فهي لا تتقبل هذا كثيراً، كانت تتعلم بسرعة، انه لاعب ماهر خبير.. وعديم الرحمة كذلك.. بارع دون ضمير.. لن يتردد أمام شيء ليتمكن من أن تكون له اليد العليا.

واست نفسها بحزم وهي تستجمع نفسها وتتقدم لتجلس إلى جانبه.. تذكري هذا: لقد اخترت عدواً لدوداً خطيراً.. وإذا قلت

من شأنه فسيكون ذلك على حسابك.

أجبرت نفسها على ابتسامة باردة، وسألت بلهجة الأمر الواقع:

- إذن، ما هي هذه التعليمات التي كنت تنوي إعطاءها لي؟ هيا.. أخبرني.. كلي آذان تصغي.

استند إلى الخلف على الوسائد، ووضع يديه وراء رأسه:

- يبدو لي أنك بحاجة ماسة إلى تعليمات حول كيفية التعامل مع علاقة، أو بالأحرى، كيفية التظاهر بالتعامل معها.. بما أن وجهة النظر كلها لهذا العمل هو شد الاهتمام إلى أنفسنا، يجب أن نتأكد أن تمثيليتنا الصغيرة مقنعة. ويجب أن أقول إن إداءك في الرحلة إلى هنا، كان يبعث على الشفقة.

ارتفع اللون الأحمر إلى وجهها وهي تلمح لمعاناً خبيثاً في عينيه:

- وبأية طريقة تظن أن أدائي لها يفي جداً بالمراد؟

ألم تسمح له أن يمسك يدها؟ بل حتى أن يقرصها في خدها تحبباً عدة مرات؟

قطب فيكتور وجهه:

- وهذا ما كنت أخشاه، ولهذا نحن بحاجة إلى الحديث.. المفترض أن نكون عاشقان، ماشيري.. وأننا شخصان يشتاقان لبعضهما.. وليس مجرد اثنين يعرفان بعضهما، ويجفلان مبتعدين عن بعضهما بعد كل لمسة مصادفة!

وضعه التصويري جعل وجهها يلتهب، للصور والأحاسيس التي برزت أمامها.. وقالت محتجة:

- بكل تأكيد يكفي أن نكون هنا معاً نعيش في هذا المنزل. ولا أرى حقاً، أية ضرورة لأي شيء أكثر من هذا.

- إذاً ماشيري، أنا مضطر لأن أصحح وهمك.. براءتك فاتنة،

لكن جهلك يجب أن يصحّح.. فإذا كان لهذه الخطة أية فرصة للنجاح، يجب إذن أن تقومي بجهد لأداء دورينا بطريقة صحيحة.. وإذا كنت تذكرين، وافقت على التعاون الكامل.

هزت ليجي رأسها، وابتسمت لنفسها سراً. فليس هذا كل ما وافقت عليه.. لكن لو أنه يعلم! وقالت له:

- أجل.. أذكر.. وسأتعاون.

استرخى إلى الوراء في السرير:

- هذا سيكون أفضل. وبإمكانك دوماً مواساة نفسك بواقع أن تظاهرنا هو للإرضاء العلني فقط.. حين نكون لوحدنا، يكون تصرفنا من اختيارنا.

- في هذه الحالة، إذا كنت لا تمانع، سأستغل هذه الفرصة لأستريح في غرفتي الخاصة الآن.

نزلت عن السرير ومدّت يدها قائلة بحدة:

- أعطني المفتاح، درسك التوجيهي مفهوم تماماً.

ابتسم يهز رأسه ببطء:

- قد يكون درسي قد انتهى، لكنك ستبقين هنا. فهذه، شيري، غرفتك.. وغرفتي.

- لكنك قلت لتوك..! بالتأكيد لا تتوقع أن أشاركك غرفة النوم؟

- أنا لا أتوقع هذا فحسب، بل أصر عليه.. فماذا ستظن مارولا لو أننا نمنا في غرفتين منفصلتين؟ لا.. لا.. ماشيري، لا يمكننا المخاطرة.. مثل هذه المعلومات تنتشر بسهولة.

إنه على حق.. طبعاً. اعترفت ليجي بقلب هابط. تلعن نفسها لسذاجتها.. لم يخطر ببالها التفكير بمثل هذه التفاصيل حين رمت نفسها بكل تهور في هذه المهزلة!

ـ حسناً، أنا واثقة تماماً أنني لن أشاركك السرير. لذا لا تحاول إقناعي أن هذا جزء ضروري من الخطة فلا مجال لذلك.

ـ لن أحاول شيري، ليجي.. في الواقع، فكرت بحل لهذه المشكلة بالذات.

ركز نفسه إلى الوراء بارتياح أكبر، وابتسم:

ـ الفراش على هذا السرير، هو فراشان منفردان ملتصقان، سأفصلهما وأضع واحداً على الأرض، ثم نعيد جمعهما في الصباح. وهذا سيشمل تخريب الأغطية، بالطبع..

صمت قليلاً قبل أن يكمل بتسلية شيطانية:

ـ.. لكنني أشك في أن تتوقع مارولا أن تكون الأغطية في حالة سوية كل صباح.

تكورت شفتا ليجي بسخط.. لديه طريقة خبيثة في التلاعب بالألفاظ، وتجاهل وقح للذوق السليم. من سيصدق بعد الآن أنها فتاة لها مثل أخلاقية عليا؟

وكأنه قرأ أفكارها:

ـ لا تقلقي.. إذا سار كل شيء على ما يرام، سنتمكن من إنهاء كل شيء قبل أن تنتشر القصص حولنا.. فمن غير المحتمل أن يعرف أصدقاؤك وعائلتك في لندن، شيئاً عن هذا.

نظرت إليه بكراهية، مع أنها كانت تصلي في سرها أن يكون محقاً.. فالخوف من أن تعرف أمها بهذا دخل رأسها.. وبعد ما فعله دومارشيه بالبانور لن تسامحها أمها. وأكمل فيكتور:

ـ أما بالنسبة لأهل البلاد هنا، فأؤكد لك أن لا أحد سيهتم.. فالغراميات خلال العطلات هي كالأكل والشراب لهم.. أما مارولا.. فلن تزعج رأسها.. وأستطيع القول، من مجرد النظر إليها، إنها امرأة خبيرة.

وهو خبير جداً بالنساء.. طبعاً! اعتقدت أنه على حق..

استدارت إليه بسخط:

ـ امرأة خبيرة أم لا، لم تكن بحاجة إلى التمادي بإعطائها انطباعاً سيئاً بأننا على وشك الانغماس في شيء ما!

التوى فمه:

ـ بالكاد أستطيع وصف ساعتين معاً بالانغماس.. أنت حقاً بحاجة لأن تعرفي الكثير عن الحب.

هذا أمر لا شك فيه، لكنه لن يكون أبداً هو الذي يعلمها. لا شيء في العالم أكثر تأكيداً من هذا.

تراجعت خطوة وهو ينزل عن السرير، مبتسماً لها:

ـ إذن ماذا تقترحين لنمضي ما تبقى من الساعتين؟

نظر إلى ساعته الذهبية.

ـ يمكن لساعة ونصف أن تمر ثقيلة. إلا إذا، بالطبع، فكرت مجدداً في «الانغماس» في ذلك الشيء الذي كنا نتحدث عنه.

تسمّرت عيناها على وجهه، تكره السخرية الوقحة المشعة منه.. كيف ستتمكن من إنجاز مهمتها والتلاعب به إلى درجة أن يثق بها؟ فالرجل مثله مثل قرش مفترس، لا يمكن التلاعب معه! والأكثر من هذا، لديها إحساس غير مريح بأنها هي التي يتلاعب بها، في وقت بدأ يفك ما تبقى من أزرار قميصه، وعيناه لا تفارقانها.

ابتلعت ريقها بصعوبة، نظرت إليه مباشرة.

ـ ماذا تفعل الآن؟

ـ ماذا كنت تأملين أن أفعل، شيري؟ طالما أنت غير راغبة في شيء، سأستحم.

ثم ابتسم، وقبل أن تدرك ماذا سيفعل، خطا نحوها وجذبها بين ذراعيه.. عيناه الزرقاوان تحرقان عينيها، وانحنى يعانقها.

أغمضت عينيها كأوراق وردة لم تتفتح بعد، وكأنما شيطان دخل فيها واستولى على أمرها، جسداً وروحاً.. ففي لحظة واحدة تلاشى كل أثر للكراهية، وأثارها إحساس غامر.

ثم فجأة خف ضغط الذراعين من حولها، ثم أحرقت عينان طويلتا الرموش زرقاوان، عينيها.. وانتشرت ابتسامة بطيئة على وجهه. قال:

ـ هذه هي طريقتي في وضع الختم على اتفاق شراكتنا. ولها تأثير أكبر من مجرد المصافحة.. ألا تظنين هذا؟

ثم استدار، متجهاً نحو الحمام.. راقبته بقلب لا زال يخفق بجنون.. لقد تلقت لتوها درساً قوياً.. هذا الرجل هو أكثر خطراً مما تظن.

***

أثبت فيكتور شهامة لم تكن تعرفها فيه.

في أول ليلة لهما معاً، وتدهشة ليجي أصر على أن يأخذ الفراش الذي على الأرض، تاركاً ليجي تتنعم بفخامة السرير لنفسها، ثم، استسلم وعلى الفور تقريباً، في نوم عميق غير منزعج. بينما تقلبت هي، بشكل يبعث على الأسى، لوقت طويل قبل أن يأتي النوم أخيراً ليستولي عليها.

بالرغم من قرارها بالتغلب على ترددها حول ما تقوم به، كانت لا تزال غير قادرة على مقاومة توترها الداخلي. فلم يكن التعامل مع مقالات الإشاعات شيئاً يروق لها.. في الحقيقة، كانت تكره صحفاً حقيرة مثل «البوغل» وأحست إحساساً غير مريح، وجبان، لمجرد التفكير بأنها فعلاً باحت لهم بسرها.

كما أن الجانب العملي للمسألة كلها كان مقلقاً.. فليجي باحثة علمية تحس أنها على ما يرام حين تعمل ضمن نظام صارم نظيف..

وهي بكل بساطة، لم تكن معتادة على كل هذه الأسرار والغموض.. وتجد أن الآلية المتشابكة لما يجري أمر مخيف.

مثلاً.. لقد اتفقت مع ديانا إيفراد، محررة مقالات الشائعات في «البوغل» أن أي معلومات ستتمكن من انتزاعها من فيكتور، سترسلها بالبريد فوراً إلى ميامي، وأنها حال وصولها إلى «باربادوس» ستعلم الصحفية بمكان إقامتها، في حال اضطرت للاتصال بها.

الآن، وفي ساعات الليل المتأخرة المثيرة للتفكير، أخذ دماغها يمتلىء بآلاف الأفكار المقلقة، وعرفت أنها كانت مخطئة، ولا توجد طريقة للسماح لأي كان أن يتصل بها في الفيلا.

تقلبت في الفراش.. يجب أن تكتب لهذه المرأة فوراً لتعلمها بضرورة إيجاد ترتيبات أخرى.. لكن، كيف لها أن ترسل أية كلمة، وفيكتور يلازمها كأنفاسها طوال الوقت؟ وبالتفكير في الأمر.. هل ستتمكن من لعب دور الجاسوس، دون أن تجعله يشك فيها؟ ثم ما هي أفضل استراتيجية لكسب ثقته؟

كانت كل هذه الأسئلة، لا تزال دون جواب، حين استولى عليها الإرهاق أخيراً، وانجرفت ممتنة إلى النوم، وكانت آخر أفكارها، والغفلة تبتلعها، أن كيانها القديم الهادىء، الخالي من الهموم أخذ يتبدل تدريجياً، إلى كابوس.

لم يكن يبدو على فيكتور أي اضطراب على عكس حالتها المضطربة، ففي الصباح التالي، وهما يتناولان الفطور على الشرفة، شرع باستمتاع شديد ينفذ تمثيليتهما.

اضطرت ليجي أن تضع قناع الشجاعة على وجهها قدر المستطاع وهو يعرضها لهجوم عناق مركز، وسلسلة من المداعبات، الأمر الذي وفر لمارولا تسلية سهلة. حتى ليجي،

اضطرت للاعتراف بأنه يلعب دوره بإقناع كامل.. ولا شك أنه مثّل هذا الدور دائماً حتى أنه قادر على تمثيله وهو نائم.

من جهتها جارته في لعبته، لا تبدأ شيئاً، لكنها كذلك لا تصده.. شيئاً فشيئاً، يجب أن تبدو له وكأنه يكسبها.. قليلاً قليلاً يجب أن تقنعه أن يثق بها.

قضيا صباحهما على الشاطىء.

كانت قبلتهما، كما اكتشفت على بعد رمية حجر من الكاريبي الأزرق، وهناك بقعة صغيرة من الشاطىء، محفوفة بأشجار النخيل، منزوية لاستخدامهما الخاص.. بينما كانت ليجي تتمدد على فراش للشمس، متألقة في بيكيني زهري اللون، تنظر إلى فوق، نحو السماء الزرقاء الصافية، سمحت لنفسها أن تشعر بالرفاهية، لوجودها في مكان كهذا، بالرغم من فيكتور وكل التعقيدات الملازمة لوجوده.. فهذه الجزيرة كانت قطعة من الجنة.. وها هي الآن، ولساعتين من النعيم، ستغلق عينيها تاسية وجوده وتتظاهر أنها لوحدها!

لكن، كل ما حصلت عليه كان بضع دقائق.

وقع ظل فوقها فجأة، وسأل صوت مخملي عميق:

ـ هل أضع لك الزيت شيري؟ أنصحك بهذا، فالشمس هنا أقوى مما تظنين.

جلست منتفضة تنظر إليه.. تقول بحدة:

ـ لا أحتاج إليك كي تضع لي الزيت!

انتزعت ليجي عينيها بتركيز جاهد، بعيداً عن الجسم الأسمر القاتم، القوي العضلات، وحاولت أن تركز على ما يقوله.

ـ هذه ليست الطريقة الملائمة للرد على حبيبك.

كانت لهجته حادة وهو يخفض جسده الفارع الطول على فراش

شمس قربها.

ـ قد تظنين أننا في خلوة هنا.. لكن، من يعلم أية عيون سرية تراقبنا؟

تطلع إلى شجيرات النخل المتداخلة مع الشاطىء، ثم مدّ إشارته إلى البحر، حيث مجموعة ملوّنة من المراكب الصغيرة:

ـ بكل تأكيد لا يمكن أن تتوقعي ممن عملهم التجسس علينا أن يعلنوا عن مكان وجودهم بألعاب نارية وأعلام خفاقة؟

قالت موافقة:

ـ بالطبع لا.. كنت سخيفة.

صوتها لم يكن يكشف عن مشاعرها.. ثم انتظرت لحظة وقالت:

ـ إذا لم يكن لديك خطط أخرى.. أريد الذهاب إلى بلدة «بريدجتاون» بعد الغداء.

ـ لا بأس في هذا بالنسبة لي.. هل من سبب محدد؟ هل هناك شيء معين تفعلينه هناك؟

هزت رأسها:

ـ لا.. لا شيء محدد.. لمجرد التفرج على المحلات، وربما لشراء بعض البطاقات البريدية.

أكملت لنفسها سراً وربما للذهاب إلى مكتب البريد، لأرسل رسالة إلى ميامي.

استدار إليها، وقال محذراً:

ـ حسن جداً.. لكن أرجو أن لا تكوني تخططين كي تضيعي مني بين الجموع، فهذا سيكون مضيعة للوقت.

قلدت صوت البراءة:

ـ وهل أفعل شيئاً كهذا؟

وردت بنظرة باردة على ابتسامته. لكنها في داخلها، كان قلبها يخفق توتراً، ولا تحس بالبرود أبداً، فلا شيء بريء في لعبة «الغميضة» التي تخطط لها.. بطريقة ما، كان يجب أن تتغلب على توترها وشكوكها، وتقوم بأول اتصال لها مع ديانا إيفارارد.

***

بينما ڤيكتور يغير ثيابه بعد الغداء، أغلقت ليجي الحمام على نفسها، وكتبت بسرعة رسالة لديانا إيفارارد على ورقتين من أوراق الملاحظات التي احتفظت بها من ميامي، كانت في معظمها توسلاً لها أن لا تحاول الاتصال بها، بل أن تكتب لها عبر مكتب البريد في «بريدجتاون».

قرأت رسالتها أكثر من مرة، لتتأكد أنها واضحة.. فلو اكتشف ڤيكتور ما تفعل، فأن حياتها لن تساوي شيئاً.

متنهدة، دست الرسالة في مغلف، ورمت نظرة على صورتها في المرآة.. كل هذه الأسرار، وهذا التآمر، تجعلها متوترة.. فهذا لا يناسبها أبداً، وضد طبيعتها. لم تكن قد كشفت في سرد قصة ايليانور، علاقتها معها.. وهذا الجانب هو الذي يستمر في إزعاجها، فمن الجيد إقناع نفسها أنها إنما تلعب لعبة، على أساس قوانين ڤيكتور المعيبة.. وهذه القوانين لم تكن تفخر بالعيش معها. بل كانت قوانين «زقاقية» ولهذا فهي تصمها بالعار.

ترددت لحظة، هل تضيف إلى رسالتها تقول إنها غيرت رأيها؟ هل تتراجع الآن وأمامها الوقت اللازم؟

متنهدة، لعقت المغلف وألصقته.. أمرت نفسها، فكري بإيجابية! ثم دست المغلف في حقيبتها.

كان ڤيكتور ينتظرها على الترّاس، يبدو هادئاً أنيقاً جداً، في بنطلون أبيض ضيق، وقميص أبيض مفتوح العنق.. تفحصتها عيناه

الزرقاوان، وهو يقف عن كرسي من الخيزران، وبدا أنه يرمي بنظرة إعجاب لفستانها الأصفر الليموني المخطط بالأبيض.

ثم قدم لها ذراعه بكل وقار، وقادها نزولاً على السلم الخشبي إلى حيث الكاديلاك البيضاء المؤجرة تنتظر. وقال مبتسماً:

ـ إلى مهمة «بريدجتاون»!

مزاجه الجيد استمر طوال وقت بعد الظهر، وهو يأخذها في جولة حول العاصمة:

ـ يقال إن «بريدجتاون» هي الأكثر إنكليزية بين كل مدن الكاريبي.. ولسوف تشعرين بأنك في بلادك.

نظرت ليجي إلى الساحة المغبرة بواجهات محلاتها الملونة، وأرضها المرصوفة بالكوبالت الذي لوحته الشمس، ونظرت إليه نظرة مرحة ساخرة وهي ترد:

ـ أوه.. أجل، إنها مثل انكلترا تماماً.. وفي كل التفاصيل، حتى في الطقس!

ـ لا يمكنك توقع كل شيء.. فالطقس الإنكليزي فريد من نوعه.. لكن، أراهن أنك لم تكوني تتوقعين، أن تجدي نفسك في وسط الكاريبي وفي وسط ساحة ترافلغار...

هزت رأسها وأكملت قائلة:

ـ انظر إلى نسخة مصغرة من تمثال «نيلسون».. كان هذا بالفعل مفاجأة.. للحظة ظننت نفسي عدت إلى لندن! كيف اتفق أنك تعرف هذا المكان جيداً؟

ضحك هازاً كتفيه:

ـ زرت الجزيرة من قبل. إنها أحد الأمكنة المفضلة لدي في العالم.

ـ أعتقد أنها ستصبح كذلك بالنسبة لي.

كانت تعرف أنها قد لا تراها ثانية، ورد عليها:

- من يدري! أشياء أغرب من هذه حصلت.

مع التقاء عيونهما، مرت بينهما ومضة تعاطف، ودون تفكير، تجاوبت مع ابتسامته.

وأكمل:

- أتوي أن أكون متأكداً أنك ستحصلين على أفضل ما يمكن من رحلتك هذه.. ولا سبب يدعو أن لا تتمتع، بسبب «اتفاقنا».

أشاحت بوجهها، وارتشفت عصير الأناناس كارهة التفكير بهذا الاقتراح.. لكنها في الواقع كانت تتمتع تماماً.. فحين لا يكون متسلطاً، يكون مرافقاً ساحراً حين يريد ذلك.

نظر إلى ساعته:

- أقترح أن نقف بعد هذا عند مركز البريد، قلت إنك تريدين إرسال بعض البطاقات البريدية، ولست واثقاً من موعد إقفال المكتب.

أخفت ارتباكها:

- حسن جداً.. لا بأس بهذا بالنسبة لي.

بعد ربع ساعة تركا المقهى الصغير واتجها سيراً على الأقدام إلى مكتب البريد.. على الفور أخذ قلبها يضرب بشدة، وسرت فيها رعدة ارتباك.. بطريقة ما يجب أن ترسل رسالتها إلى دبانا، لكن كيف ستتمكن من هذا لو أصر ڤيكتور على دخول مكتب البريد معها؟

قاطع أفكارها ليقترح:

- إذا كنت تظنين أنه بإمكانك تدبير أمر نفسك، سأذهب إلى ذلك المتجر عبر الشارع، وأشتري بعض علب العصير والمرطبات.

أحست بالارتياح:

- فكرة جيدة.. سأنتظرك في الخارج حين أنتهي.

أسرعت إلى داخل المكتب المبرد بالمراوح الكهربائية وانضمت إلى أقصر صف منتظر. وإذا حالفها الحظ، فستنتهي من عملها قبل أن ينهي عمله!

مسلحة بالطوابع البريدية، وبيدين مرتجفتين، وضعت الطوابع على المغلف، ثم أعادته إلى حقيبتها وأكملت بسرعة بقية البطاقات.. ثم وبقلب يخفق بحثت بلهفة عن صندوق البريد.. وأسرعت نحوه يدها فوق الحقيبة، ثم أخرجت الرسالة بسرعة ورمتها في الصندوق، بعدها تعاملت مع بقية البطاقات بروية.

كان العرق يتفصد من جبينها وهي تستدير، وإحساس براحة ضعيفة في قلبها.. لكن في اللحظة التالية، جمد الدم في عروقها، وامتلأت عيناها بصورة الجسم الطويل، بالقميص الأبيض، الذي كان يقف يراقبها عند الباب.. أوه.. يا الله.. هل شاهدها تضع الرسالة؟

تقدمت بساقين غير ثابتتين نحوه.. لا تجرؤ على رفع نظرها إليه، ولا حتى على التنفس.. لكن، كل ما قاله وهي تقترب منه كان:

- هل أنهيت كل شيء؟ تعالي إذن، دعينا نذهب.

تأبطت ذراعه دون تفكير، ولحقت به إلى تحت أشعة الشمس القوية، التي تعكس دفء الارتياح في قلبها.. لكن، في الحقيقة، لم يكن ارتياحها لأنها أرسلت الرسالة فقط، بل لأن لا ضرر حقيقي حتى الآن حدث.. لأن هذا ببساطة يجعل من السهل عليها أكثر أن تكسب ثقته.

liilas.com
rayqh

لكن وهما يسيران، ذراعاً بذراع عبر الشارع كانت هناك زاوية سرّية في قلبها، تعرف أن هذا لم يعد صحيحاً تماماً.

* * *

٦ ـ أسئلة بلا أجوبة

تناولت ليجي ملء فمها من طبق الحلوى اللذيذ، ونظرت إلى ڤيكتور عبر الطاولة المزينة بالشموع:

ـ إذن كم جاسوساً اكتشفت حتى الآن؟

كان يرتدي بنطلوناً أسود اللون، وسترة بيضاء، وقميصاً أبيض، مع ربطة عنق.. في نور الشموع المرتجف كانت خطوط وجهه الخشنة أحياناً ترق وتزداد سحراً. وهو يبتسم، كانت أسنانه تبدو شديدة البياض وتزداد زرقة عينيه بشكل مذهل.. وقال:

ـ ليس بعد.. إنهم مختفون عن الأنظار.. لكن لا تقلقي، فالليل لا زال في أوله.

هذا صحيح.. إذ لم تكد تمر نصف ساعة منذ وصولهما لقضاء أمسية في نادي «هامنغ بيرد» أحد أكثر النوادي الليلية فخامة في الجزيرة. وبالطبع، كانا يجلسان على أفضل طاولة حول حلبة رقص قريبة..

القصد من مجيئهما إلى هنا لم يكن للمتعة فقط.. كانت فكرة ڤيكتور ونيته محاولة إغراء أعدائه بالظهور علناً. منذ وصولهما إلى الجزيرة في الأيام القليلة الماضية، كان مقتنعاً، وفي مناسبتين منفصلتين، مرة على الشاطىء ومرة في الڤيلا، أن شخصاً كان يراقبهما.. وهو يأمل هنا، في النادي، أن يكشف النقاب عنه، أو

عنهم.

قال يقنعها:

- في مكان محصور مثل «هامتغ بيرد» لن يكون من السهل بقاؤهم مختبئين. وسيكون من السهل علينا أن نكشف أي إنسان يتصرف بطريقة مشبوهة.

هزت رأسها وهي تضع الكأس من يدها:

- ما يحيرني كيف ستتمكن أن تعرف الفرق بين جواسيسك الذين تدفع لهم من وكالة التحري، وبين من يفترض أنهم يلاحقونك. لكنني أعتقد أنك في مثل هذه الأمور أكثر خبرة مني.

وابتسمت ممازحة.. رفع حاجبه الأسود الشيطاني الجناح، وابتسم بكسل، ومعرفة:

- ربما لهذا السبب أجد براءتك ساحرة، مع أنك تبدين أقل براءة هذا المساء.

أحست بالاحمرار يتسلل من عنقها صعوداً ونظرته الكسولة تتركز على عنقها.. فوق باقة الفستان المتعدد الألوان يكتفين مكشوفتين وتنورة واسعة، وخصر يحيط به حزام عريض، وقلادة ذهبية صغيرة، هدية من أمها، تلمع عند عنقها.

ابتسم لها:

- هذا الفستان يناسبك شيري.. أنت هذا المساء أقتن من العادة.

ارتجفت حينما ألتقت عيناها بعينيه:

- ستفسدني دلالاً بكل هذه الإطراءات.. تذكر، نحن الإنكليزيات العمليات لسنا معتادات على الفتنة الفرنسية.

طبعاً، في ظروف أخرى، كانت ستصده.. لكن الشيء الذي يمنعها أنها بحاجة لأن تسحره.. إنه جزء محسوب بدقة من خطتها.

وخطتها حتى الآن كانت تعمل بنجاح كبير.. فقد تجاوب فيكتور مع تغيير تصرفاتها نحوه بحماسة الغاوي المتمرس، يتبادل معها الابتسامات والنظرات.. مع ذلك، لم يحاول مرة أن يخطو خارج الحدود التي كانت تضعها بحزم في ذهنها.

تابع ينظر إليها، وعيناه تمازحانها:

- إذن، أنت مسرورة لإصراري على المجيء معك؟ لا بد وأن تعترفي بأنك تمضين وقتاً أفضل معي مما لو كنت مع صديقك الآخر.. آلن.

رفرفت عينيها لعجرفته، لكنها لم تستطع أن تنكر أن في كلامه بعض الحقيقة.. خلال البضعة أيام الماضية كان عند وعده بأن يحرص على أن تتمتع بعطلتها. وبدا أن لديه موهبة طبيعية في قضاء الأوقات الطيبة، وفي جعل من هم حوله يتمتعون كذلك.. فلم يكن هناك لحظة ملل واحدة.

أجابت:

- آلن ليس صديقي كما تظن، إنه صديق عادي، كما سبق وقلت لك.

- أنا مسرور لسماع هذا.. وهل لديك آلن آخر في وطنك؟

- إذا كنت تقصد أصدقاء من الرجال.. أجل لدي البعض منهم.

- لكن، دون شخص مميز؟

- ليس في الوقت الحاضر.

- إذن كان هناك في الماضي؟

كانت على وشك أن تقول له إنّ هذا ليس من شأنه. لكن، لسبب ما وجدت نفسها ترد:

- مرة، كان هناك شخص، ظننته مميزاً.. وتبين لي أنني كنت

liilas.com
rayqh

مخطئة.

أحست أنه ابتسم:

- هذا ما ظننته، وهذا ما يفسر قلقك.. لكن يجب أن تتعلمي أن تكوني أكثر ثقة بالناس، فتاة مثلك يجب أن يكون لها شخص مميز في حياتها.. لا بد أنك تدركين بأنك قد لا تجدين هذا الشخص إذا استمريت في إضاعة وقتك مع شبان مثل آلن؟

تساءلت في نفسها عمّا يعني هذا؟

- وما الخطب مع رجال مثل آلن؟

- لا شيء أبداً.. لفتاة غيرك.. لكن ليس لك ماشيري ليجي.. ما تحتاجين إليه نوع مختلف من الرجال.

وهو يميل فجأة إلى الأمام ويمسك بيدها عبر الطاولة، حاولت انتزاعها وقالت:

- وكيف تعرف ما أحتاج إليه؟ أنت لا تعرف في الواقع شيئاً أساسياً عني!

هبّ واقفاً وقال:

- دعينا نوضح شيئاً عمّا أعنيه.. تعالي شيري، دعينا نرقص.

أخذت أعصابها فجأة تتشاحن مع بعضها وهو يقودها إلى حلبة الرقص، استطاعت بصعوبة أن تسيطر على خفقان قلبها وهو يشدها بنعومة بين ذراعيه.. لتحس بقشعريرة على بشرتها.

هل هذا ما يعنيه؟ هل هو الإيضاح الذي ينويه؟ هل يريد أن يظهر لها أنه قادر على التأثير فيها كما لم يؤثر عليها أي رجل من قبل؟

- آثرين.. تدعين أنني لا أعرف شيئاً عنك.. لكنني أعرف الكثير، شيري، أكثر مما تظنين.

رفعت عينيها تنظر إلى وجهه، وأحست ببرودة مفاجئة من

الحذر داخلها.. هل كشف سرها؟ أيعرف من هي؟ أم الأسوأ: هل اكتشف ما تنوي القيام به؟

لكنه أكمل:

- وكيف يمكن غير هذا؟ في الأيام الماضية عشنا معاً.. وأظنك أصبحت تعرفين قليلاً عني كذلك.. ولم تعودي تعتقدين أنني متوحش.

هزت كتفيها متوترة.. للأسف الشديد هذا صحيح. مع مرور كل يوم، كانت تجد صعوبة أكبر في متابعة النظر إليه كما كانت تنظر من قبل، وكأنه تجسيد للشيطان.. بل العكس ولذهولها، وجدت فيه أشياء تعجبها، ولهذا، ربما، بالرغم من تعاظم القلق بينهما، لم تحاول أن تنتزع منه أية أسرار. وبدأ هذا يقلقها، ويجعلها تحس بالذنب العميق.

رفع ذقنها بأصابعه، فالتقت بعينيه لتسأله:

- هل أنا محقة أم مخطئة في اعتقادي أنك متوحش؟

ابتسم ابتسامة تسلط، وضمها إليه أكثر، قائلاً:

- سأكون ما تريدين أن أكون إذا كنت تحبين الوحوش فأنا متوحش، وإذا كنت تفضلين شيئاً أكثر رقة، فسأكون دميتك.

مالت إليه، تحس بارتباك أكبر من السابق.. فلقد شكت بوجود حقيقة في هذا القول الصادر عن قلب خلي.. ڤيكتور دومارشيه هو كالحرباء المتقلبة، قادر على أن يكون ما يشاء.

إلا أنها في تلك اللحظات لم يكن مسموحاً لها بالتفكير المشوش. فالموسيقى توقفت وعادا إلى الطاولة.. فجأة نادى صوت نسائي:

- ڤيكتور دومارشيه! هذا أنت إذن، على أي حال! من بين كل الناس ممن التقي بهم صدفة!

لحقت ليجي بعيني ڤيكتور عبر الطاولات إلى حيث تجلس امرأة شقراء الشعر في ثوب أسود ناعم مسترسل، تلوح لتجذب انتباهه..

صاح عجباً، وأسرع نحوها:

ـ نادين!

بعد لحظة كان الاثنان يتعانقان.

بعد عشر دقائق، جرى تغيير إعادة ترتيب للطاولات، لتجلس ليجي وڤيكتور مع نادين المرحة وزوجها اللطيف كينيث، معاً يضحكون ويتبادلون أطراف الحديث.

كانت نادين، كما اكتشفت ليجي عارضة أزياء سابقة وهذا واقع لم يدهشها أبداً، نظراً لجمالها الأخاذ، وجسدها الطويل النحيل، وطريقة زينتها الخالية من أي عيب. كان من العجيب أن لا تكون عارضة سابقة، لكن، ما أدهشها هو اكتشافها أنها كانت يوماً رفيقة لڤيكتور.

لم تكن مسألة أنهما كانا عاشقان هو الذي صعب لليجي تصديقه، فغرام ڤيكتور بالنساء الجميلات أمر معروف جداً.. ما أدهشها حقاً وأضاف مزيداً من الارتباك لها هو كونهما الآن، وبشكل واضح جداً، صديقان عزيزان.. وهذا شيء لم يكن ينطبق على سمعته العامة كرجل يحب ثم يتخلى عمن يحب، وبقساوة محسوبة، بحيث لا يمكن لعشيقة سابقة أن تشعر بمثل هذه الحرارة تجاهه.

ليس العشيقة السابقة فقط، بل زوجها كذلك؛ فمن الواضح أن الثلاثة هم أصدقاء مقربون جداً.. وربما كانت نادين محظوظة بشكل مميز.. وتزايد تشوش ليجي..

كانوا يتحدثون عن أذواقهم في الموسيقى، نادين تتحدث بحماسة عن موسيقى الآلات النحاسية في الكاريبي.. حين وافق

ڤيكتور، أطلقت ضحكة خبيثة:

ـ أرى أنك تتوسع في ذوقك الموسيقي.. ما كنا نصغي سوى للموسيقى الكلاسيكية!

رد على ملاحظتها بمرح:

ـ هذا غير صحيح! فأنا لي ذوق عام واسع حتى أقصى حد!

قاطعته ليجي دون تفكير:

ـ سمعت أنك مولع بالأوبرا؟

ولم تكن أبداً مستعدة لرد نادين.

ـ ومن قال لك هذا؟ ڤيكتور يكره الأوبرا! لطالما حاولت إقناعه أكثر من مرة؛ لكنه كان يرفض حتى الإصغاء إليها!

ـ لكنني ظننت..

وصمتت، تتذكر مصدر معلوماتها الخاطئة.. إنها ايليانور، المتعلقة بحب «ڤيردي» والتي قصت لها تفاصيل رحلتها إلى باريس مع ڤيكتور إلى دار الأوبرا، لعرض خاص لأوبرا «عايدة».

وهي تتراجع في كرسيها مرتبكة، أكد لها ڤيكتور:

ـ نادين محقة تماماً.. وأنا واثق أن هذا فجوة رهيبة في ثقافتي الموسيقية.. لكنني لم أحضر أوبرا في حياتي.

هزت ليجي كتفيها وضحكت:

ـ لا بد أنني حلمت بالأمر!

مع متابعة الحديث في مواضيع أخرى، كان دماغها يمتلىء فجأة بسؤال مقلق.. لماذا بحق السماء تخترع ايليانور تلك القصة؟ هذا لا يبدو منطقياً أبداً.. وهذا السؤال، حتماً، قاد إلى سؤال آخر، وأكثر بعثاً للقلق في مضامينه.

إذا كانت ايليانور قد اخترعت هذه القصة حول الأوبرا، أمن الممكن أن تكون اخترعت أشياء أخرى؟

أحست بخفقة غادرة من الإثارة لهذه الفكرة. لو كان اتهام ايليانور لڤيكتور غير صحيح، فهذا سيبرر تغيّر مشاعرها نحوه، ولن تعود تشعر أنها مرتبطة هكذا بعقدة الذنب.

لكن، على الفور، أحست بالخجل من نفسها.. ايليانور كانت شقيقتها والولاء الأول يجب أن يكون لها.. فكذبة صغيرة روتها لا تلغي قصتها كلها..

بطريقة ما انتقل الحديث إلى التزلج.. وهي تجبر اهتمامها للعودة إلى الحاضر، كانت نادين تسأل ڤيكتور، بينما كان الساقي يجلب لهم المزيد من العصير:

- ألا زلت تحتفظ بالشاليه في «الهوت ساڤوا»؟.

هز ڤيكتور رأسه، فالتفتت نادين إلى ليجي:

- يجب أن تقنعيه أن يأخذك إلى هناك يوماً، خاصة إذا كنت تهتمين بالتزلج.

دست يدها بعاطفة في ذراع زوجها:

- كينيث وأنا أمضينا أجمل عطلة تزلج هناك منذ سنتين.

تجنبت ليجي النظر إلى ڤيكتور متعمدة.. فهي تتصور مدى تسليه لاقتراح نادين! وردت:

- في الواقع، أنا مولعة جداً بالتزلج.. مع أنني لا زلت مبتدئة.

- فليعلمك ڤيكتور.. إنه خبير، ومعلم صبور.. أؤكد لك هذا.

ضحك كينيث:

- وأنا أؤكده أيضاً.. فهو الذي أخرجني من منحدرات التدريب.

مالت نادين تطبع قبلة على خده:

- كينيث زوج رائع.. لكنه قطعاً ليس رياضياً. وإذا كان صادقاً

سيقول لك إنه يفضل ما بعد التزلج، عن التزلج نفسه!

وغمزت لليجي مبتسمة.

وافقها كينيث:

- أنا أحب الجانب الاجتماعي من رحلات التزلج.. ولحسن الحظ، حين تكونين مع ڤيكتور، لن ينقصك هذا.

ابتسمت ليجي في موافقة تامة: فهذا شيء أصبحت تعرفه.. ثم نظرت إلى نادين وقد أخذت فجأة تضحك:

- بينما نحن نتحدث في موضوع الحياة الاجتماعية، ما رأيك بتلك الحفلة التي أقمتها السنة الماضية؟ وشاركت فيها تلك السيدة المعروفة التي لم تكن هناك لأجل التزلج؟

غمزت ليجي وسمت زوجة سياسي فرنسي، ثم أكملت:

- يا لها من قصة فظيعة قديمة الطراز.. ما الذي حدث بالضبط يا ڤيكتور؟ لم تخبرني أبداً بالتفاصيل.

بدا متردداً بالحديث عن القصة، ثم هز رأسه:

- كانت قضية غامضة، وأخشى أن أكون نسيت معظم التفاصيل.

لكن طريقة إشاحته بعينيه وهو يتكلم، ليبدي اهتماماً مفاجئاً بطاولة قرب مؤخرة الغرفة، هي التي أطلقت أجهزة الإنذار في رأس ليجي.. استدار كينيث إلى زوجته يدعوها إلى الرقص مدركاً بدبلوماسية تلميح ڤيكتور، ثبتت ليجي عينيها في جانب وجه ڤيكتور الأسمر بإحساس ندم مختلط بالخوف.

لقد أدركت أنه يخفي شيئاً.. ربما تكون القصة التي صممت أن تحصل عليها.. وفي نفس اللحظة، في أعماق قلبها، كانت تصلي أن لا تكون هناك قصة إطلاقاً.

افترق الفريق الرباعي بعد منتصف الليل بقليل، وبعد الاتفاق

على اللقاء مجدداً بعد يومين، وقضاء يوم كامل معاً في أعماق البحر لصيد السمك.. ووعد كينيث وهما يصعدان كل إلى سيارته:

ـ سأتدبر أمر القارب من فندقنا.. سأتصل بك فيما بعد، ونتفق على التفاصيل.

مع صعود ڤيكتور إلى الكاديلاك قربها، حاولت ليجي دفع دماغها إلى حالة فراغ. لقد وفرت لها هذه الأمسية مادة كثيرة تفكر بها، لكن الوقت الآن متأخر وهي متعبة.. ستؤجل كل التفكير الى الغد.. وبعد نوم ليل جيد.

أدار ڤيكتور المحرك ونظر إليها:

ـ هل تمتعت بالأمسية؟

ـ جداً.. إن نادين وكينيث شخصان رائعان حقاً.. وأنا سعيدة للقائنا بهما.

ثم ابتسمت له:

ـ مع ذلك، من المؤسف أنك لم تلق القبض على أي جاسوس!

دفع ڤيكتور مقبض المحرك إلى مستوى القيادة، وغمزها قائلاً:

ـ لكنك مخطئة!

مد يده، وهي ذاهلة، يمسك يدها ويرفع أصابعها إلى شفتيه:

ـ قد لا أكون نجحت في إلقاء القبض على أحد.. إلا أنني تمكنت من ملاحظتهم على أي حال.

ما إن لامست شفتاه أطراف أصابعها، حتى غمرتها موجة ارتجاف، ونشبت تركيزها مؤقتاً.. قاومت بشدة لتفهم ما كان يقول:

ـ كانت هناك امرأة حمراء الشعر، وشاب نحيل يجلسان على بعد طاولتين منا.. وكان لهما بكل تأكيد، اهتمام بنا.. تمكنت من النظر إليهما جيداً، وأنا واثق تماماً أنني سأعرفهما لو رأيتهما مرة

أخرى.

ـ هذا جيد.

لكنها لاحظت بألم أنها تجد صعوبة في فهم كلمة مما كان يقول.. فقد كان لا يزال يمسك يدها بثبات.

أخذت نفساً عميقاً لتوقف سرعة نبض قلبها، لكن صوتها كان أجشاً حين سألته:

ـ إذن، ما هي الخطوة التالية؟

هز كتفيه:

ـ لست واثقاً بالضبط.. أعتقد أنني سأبقى مترقباً لأرى ما إذا كنت سأراهما مرة أخرى.

رفع يدها مرة أخرى إلى شفتيه، ليرسل رجفة أخرى في كيانها، ثم ضغط يدها:

ـ يبدو أن خطتنا بدأت تعمل.

هزت ليجي رأسها كالمسحورة وأجابت:

ـ عظيم..

لكنها في الواقع لم تكن تعرف ما إذا كان هذا جيداً أم لا.

أحست بارتياح كبير، حين استدارت السيارة عبر أبواب الڤيلا، واتجهت بسرعة نحو الباب الأمامي. توقف ڤيكتور تحت الشرفة المضيئة، وشد المكبح اليدوي.. ثم.. وليجي تمد يدها إلى مقبض الباب، استدار إليها ووضع ذراعه على مؤخرة مقعدها ليداعب شعرها.

نظرت إلى عينيه بإحساس شوق يائس.. شوق كانت بالكاد تستطيع كبحه.. لكن، وفي تلك اللحظة بالذات صدمتها فكرة فقطبت في وجهه، بينما خفق قلبها بشدة.

ـ ذانك الشخصان اللذان شاهدتهما في النادي.. متى لمحتهما

liilas.com
rayqh

بالضبط؟ في أية مرحلة من الأمسية؟

انضم حاجباه معاً:

ـ لا أتذكر.. كان ذلك حوالي النهاية.

ـ حين كنا نتكلم عن التزلج؟ قبل أن يذهب كينيث ونادين إلى الرقص؟

هز رأسه:

ـ أجل.. في الواقع.. أعتقد هذا.. وما الفرق؟ ولماذا أردت أن تعرفي؟

ـ لا سبب.. لا سبب أبداً.

ابتسامة كبيرة ملأت وجهها.. فقد عرفت لماذا تغير مزاجه حين أثارت نادين موضوع تلك الفضيحة فوق جبال الألب. وليس السبب ما ارتابت به ليجي في البداية، فهو لم يكن يشعر بالذنب إطلاقاً بل السبب أنه في تلك اللحظة شاهد الشخصين يراقبانهما.

رقص قلبها في داخلها.. كانت مخطئة في أن تشك به.. لم يكن يحاول إخفاء أي شيء أبداً! ثم تذكرت كذبة ايليانور حول الأوبرا.. وخاصية صداقة ڤيكتور مع نادين، عشيقته السابقة.. كل الأشياء السيئة التي سمعتها عنه، لا يمكن أن تكون صحيحة! هي، وبقية العالم أساءوا الحكم عليه!

أحست بقبضة مفاجئة من الحزن تمزق قلبها.

فقد أدركت فجأة، وهو يستدير عنها، أن الشوق في داخلها، لن يستجاب.. ومع أنها بالنسبة له مجرد امرأة من بين الآلاف، صورة مارة، سرعان ما ينساها.. إلا أنها في تلك اللحظات كانت مستعدة لبيع روحها من أجل أن تسمع منه تمتمة لكلمة حب واحدة!

* * *

٧ ـ قلب الجاسوسة

هذا كله جنون.. طبعاً.. وتعرف ليجي هذا!

بسماحها لنفسها أن تشعر نحو ڤيكتور ما تشعر به، كانت تحضر نفسها لخيبة أمل كبيرة.. فهي لم تخدع نفسها لحظة في أنها بالنسبة له ليست أكثر من تسلية عابرة.

إنه ذلك الدافع الانحرافي الماسوشي لنساء عائلة وايلي في الوقوع في حب الرجل الخاطىء، يتصاعد في داخلها ويجرها إلى الأسفل مجدداً. لكنها هذه المرة تستحق ميدالية ذهبية فهي تعلم مقدماً كم هو خطير ڤيكتور، مع هذا اعتقدت نفسها منيعة ضده، محمية بغضبها.

تلك الليلة، خلال السهرة أقنعت نفسها، بجدال داخلي، أن ڤيكتور بريء، وأن ايليانور كانت كاذبة، وأن العالم أساء الحكم عليه.. لكن، في وضح النهار البارد، اعترفت بأن جدالها مع نفسها كان أساسه الحدس والتخمين، وطالب دماغها العلمي المدرب على الحقائق بشيء أكثر صلابة. ما تحتاج إليه وقائع ثابتة لتدعم حدسها.

بإمكانها ما إن تحصل على هذه الوقائع، السير وراء قلبها إلى داره المحتم.

ضحكت بمرارة لسخرية الموقف، تذكر كيف بدأت تبحث عن

دليل تستخدمه ضده، مع ذلك، ها هي الآن، وبعد أسبوع واحد قصير، تأمل بيأس أن تكشف شيئاً يمكن أن يبرئه في النهاية!

هكذا، أصبحت مضطرة أن تجد دليلاً للدفاع، وهي مهمة ستتطلب كل ذرة من تركيزها بقدر ما كانت مهمتها السابقة تتطلب ذلك.

بقيت خططها على أي حال في الأساس نفسها.. بطريقة ما، يجب عليها انتزاع الأسرار منه.. قد تكون هذه المرة أسرار بطبيعة مختلفة.. ثم، وبعد أن رضيت بهذا القرار، وعدت نفسها بأن تتصل فوراً بديانا ايفرارد وأن تسحب قصتها التي قالتها لها، وتقطع إلى الأبد كل صلة بصحيفة «بوغل».. ومجرد التفكير بهذا جعلها تتنهد ارتياحاً.

في البداية، حين لم تكن تعرف عما تبحث، قامت بمبادرات، كانت للأسف خاطئة. وقت العشاء تلك الليلة، وهي تمطر ڤيكتور أسئلة عن عائلته، وهي تأمل أن تستخلص منه معلومات قد تفيدها، توقف عن تناول الطعام ونظر إليها بعينين ضيقتين.

ـ أنت فضولية جداً.. ربما يجب أن أزودك بتاريخ مكتوب لعائلة دومارشيه.. ظننت أن التجسس الصناعي هو مجالك؟ لربما قررت توسيع نشاطك قليلاً؟

لعنت ليجي نفسها، وحاولت تغيير الموضوع:

ـ آسفة.. كل ما في الأمر أنكم عائلة تثير الاهتمام. إضافة إلى هذا، أنت تعلم أنني لست جاسوسة صناعية. لا يمكنك الاستمرار في تصديق شيء كهذا علي، بكل تأكيد.

نظر إلى عينيها مباشرة، بالطريقة التي كان يشعرها فيها أنه يقرأ ما تفكر به. ثم، دون الرد على سؤالها، صب المزيد من العصير في كوبيهما:

ـ اشربي، شيري، ولا تطرحي أسئلة كثيرة.

لم يكن بالرجل السهل انتزاع ثقته.. هذا ما قررته تلك الليلة وهي مستلقية في السرير.. يجب عليها أن تكون صبورة، وأن تتحرك بكل حذر.. عاجلاً أم آجلاً، لا بد أن يكشف لها شيئاً.

في الصباح التالي، على الشاطىء، كادت ترتكب هفوة أخرى.. مرت لحظة سريعة بدا أن عيناه اسودتا، وعرفت أنها عادت لطرح الأسئلة الكثيرة. هذه المرة، تراجعت قبل أن ينتقدها؛ وغيرت الموضوع بلباقة، دون مضاعفات. لكن، فيما بعد، وهما يتناولان الغداء معاً في الڤيلا.. جاءت الفرصة التي كانت تنتظرها.

كانا قد أمضيا معظم الصباح في التزلج على الماء.. على الأقل هذا ما فعله ڤيكتور، وأمضت ليجي معظم الوقت تقع وتجرّ نفسها في الماء.. قال ڤيكتور وهو يضع قطع «الكركتو» في طبقها:

ـ لا تقلقي.. لقد كانت محاولاتك جيدة كبداية.. وأشعر واثقاً، أنك في الغد ستتمكنين من التزلج جيداً.

كانا يجلسان على الشرفة، يتمتعان بغداء في الهواء الطلق، ونسمات باردة خفيفة، كانت تهب من جهة البحر.. نظرت إليه ليجي مبتسمة:

ـ أتمنى لو أستطيع التزلج مثلك.. أنت حقاً تجعل الأمر يبدو سهلاً.

غمزها قائلاً:

ـ لا تكوني نافذة الصبر.. وتذكري أنني أمارس التزلج منذ سنوات.. كنت أتزلج على الثلج وعلى الماء منذ تمكنت من السير تقريباً.

ـ أعتقد أن هذا صحيح.

تذكرت في لحظة ذلك الحديث تلك الليلة في النادي حين

انطلقت نادين تسأله عن الشاليه وانتهى بها الأمر إلى التلميح إلى نوع من الفضيحة.. ذلك الوقت تساءلت ليجي عما إذا كانت تلك هي القصة التي تسعى إليها، لكنها سرعان ما تمنعت عن متابعتها.. الآن ساورتها نفس الفكرة، لكن بدوافع مختلفة.

فكرت في استخدام نفس الأسلوب الذي فكرت أن تستخدمه ضده، لتثبت الآن، بدلاً من هذا، أن لا وجود لشيء يخجل منه. وإذا كان هناك بالفعل فضيحة ما، فلا شك أن دوره فيها كان دور البريء.. وإذا كان الأمر هكذا، فهي مستعدة للقبول بهذا كدليل أخير.

أحست بالإثارة داخلها، فلو استطاعت الوصول إلى قلب هذه القصة، فان عذابها سينتهي أخيراً، وهذه فرصتك.. فلا تضيعيها، انطلقي خلفها! واكشفي عن الحقيقة أخيراً!

أخذت نفساً عميقاً، وأكملت تدير الحديث بعفوية في الاتجاه الذي تريد:

- أنت محظوظ جداً لحصولك على كل هذه الفرص الرائعة لممارسة الرياضة. أعتقد أنكم في كورسيكا تمارسون التزلج على الماء طوال السنة تقريباً! وبامتلاكك الشاليه الأليي في «هوت سافوا» فبإمكانك التزلج على الثلج طوال الشتاء كما تشتهي.. أخبرني عن الشاليه في الألب.. يبدو لي مثالياً حقاً.

ابتسمت لها عيناه الزرقاوان:

- هذا صحيح جداً.. إنه يقع على ارتفاع ما يزيد عن ألفي متر.. نحصل هناك على أفضل موسم تلج ومناظر رائعة.

- أراهن على هذا.. وأستطيع تصوره.. وأراهن أن كل أصدقاؤك يطالبون صاخبين باستخدامه.

هز كتفيه قليلاً:

- إنه مشهور جداً.. ولحسن الحظ كبير بما يكفي لاحتواء بضع ضيوف.

كتمت أنفاسها لحظة، وسألته مبتسمة:

- أعتقد أنك تقيم حفلات كثيرة؟

نظر إليها وهو لا زال يبتسم.

- ليس الكثير.. مرة أو مرتين في السنة.

أخذ قلبها يخفق بجنون:

- لا بد أن هذا أمر مرح.

إنها الآن تقترب، ولا يجب أن تفسد هذا الاقتراب. ركزت بعناية وقالت بلهجة خفيفة:

- وأظن أن هذه الحفلات تصبح مجنونة أحياناً؟

رفع حاجبه الأسود، ووضع كأس العصير من يده:

- ولماذا تظنين هذا؟

أحست قلبها يعتصر بلهفة.. كان في صوته لمحة خفيفة من تأنيب مشابهاً لما بدا منه ليلة أمس وهي تضغط عليه بالنسبة لعائلته. لكنها كانت مصممة على المضي بالضغط، فهذه هي فرصتها الذهبية.

رمت بنظرة توسل، وتظاهرت بالفضول:

- ذكرت نادين شيئاً عن حفلة صاخبة، شملت زوجة وزير بارز.. وأنا واثقة أن الأمر لم يكن فضيحة كما صورته. لكنني لم أستطع إلا أن أتساءل..

نظر إليها ڤيكتور مباشرة:

- ربما كانت أسوأ بكثير مما صورته نادين.. أو كادت أن تكون.. لقد كادت تحدث بالفعل فضيحة كبيرة.. لكن لحسن الحظ تمكنا من تلافيها في الوقت المناسب.

ضحكت بتوتر، لا بد أنها الآن أمام شيء ما!

ـ تلافيها؟ إذا كان يجب تلافيها فلا بد أنها كانت جدية.. ماذا حدث بالضبط؟

نظر إلى البعيد:

ـ لم تكن قصة جيدة، وأظن من الأفضل نسيانها.

لكنها وصلت إلى حافة المعرفة الآن، ولا يمكنها التراجع. قالت محاولة الممازحة:

ـ لماذا تتكتم إلى هذه الدرجة؟ هيا أخبرني عنها. لن أخبر أحداً.

ارتفعت عيناه إلى وجهها بحدة:

ـ أتريدين حقاً أن تعرفي؟

وهي تنظر إلى عينيه شيء ما في أعماقها طلب منها أن تقول لا.. لكنها هزت رأسها إيجاباً، وفات وقت التراجع.

ـ حسن جداً، إذا كنت تريدين أن تعرفي، سأقول لك.

مال إلى الأمام مسنداً ذراعيه إلى الطاولة:

ـ لم أخبر أحداً من قبل بأي شيء من هذا. وربما لن يكون الأمر سيئاً في أن أخرجه من نفسي.. وكما سبق وحذرتك، إنها قصة غير لطيفة. أواثقة أنك تريدين سماعها؟

هزت رأسها، آلياً تقريباً، وتمتمت، مع أنها لم تكن واثقة:

ـ أجل.

ـ حسن جداً.. هكذا كانت..

تراجع في كرسيه:

ـ السيدة التي تتركز القصة عليها، زوجة الوزير، كانت صديقة مقربة مني. كنا نقيم في الشاليه، سراً بالطبع، زوجها لم يكن يعلم بعلاقتنا.. وفي إحدى الأمسيات أقمت حفلة.

صمت لحظات، كأنما ليتأكد أنها تستمع، ثم، أكمل بنفس اللهجة الباردة:

ـ لسوء الحظ، والحفلة في أوجها، داهمتنا الشرطة، دون توقع، واكتشفوا مواد مخدرة.. وارتكبنا غلطة محاولة رشوة الشرطة، وكادت المسألة تتفجر في فضيحة رئيسية. ولحسن حظنا جميعاً، ولأن مستقبل الوزير كان في خطر، تدخل شخص في مركز مرموق، ولم توجه أية اتهامات إلينا وهكذا خمدت القصة.

ابتسم لها ابتسامة متجهمة:

ـ وكانت هذه أسوأ الأخطار التي تعرضت لها في حياتي. كادت تكون بالفعل نهاية لحياتي العملية لو أن تلك المسألة اللعينة وصلت إلى المحاكم.

نظرت ليجي إليه. أحست بالدوار والصدمة، وصارت تراهُ فجأة كشخص غريب.. لقد حصلت على قصتها، وأمامها الدليل، لكنه لم يكن الدليل الذي تبحث عنه.

فجأة أحست برغبة في أن تخسر كل ما تملك بدلاً من سماعها كلمة واحدة من هذه القصة.

* * *

بالطبع، كانت هذه نهاية كل خيالاتها المضللة.. وأحست بالغثيان والصدمة لاعتراف ڤيكتور.. أغلقت على نفسها الحمام، في ذلك المساء، قبل النوم، وكتبت بغضب لنصف ساعة.. لم يعد هناك أي شك في ما هو واجبها.. وما عرفته نوت أن تمرره إلى «البوغل».

استلقت تلك الليلة متسعة العينين وقد جافاها النوم.. تصغي إلى تنفس ڤيكتور المطمئن، من فوق الفراش الموضوع على الأرض.. روح هذا الرجل مفتوحة الشهية مثل بركة وحل في مزرعة

خنازير، ولا يزيد ضميره عن سماكة شريحة لحم رقيقة! ابتلعت دموع الخجل والغضب والإحباط.. بفتنته خدعها، كما خدع ايليانور؛ وهي لم تصدقه فقط، بل أرادت أن تثق به، وربما كان هذا أكثر الأمور إثارة للسخط.

مع كل هذا، وبالرغم من الرسالة الموجهة إلى ديانا في حقيبتها، الجاهزة لإرسالها في البريد، عند أول سانحة، كان جزء صغير من دماغها في الصباح التالي لا زال يرحب ولو بدليل صغير على أنه ليس في الواقع سيئاً إلى هذا الحد.. لكن، يا للأسف، كل الدلائل تشير إلى العكس.

كان الاتفاق أن يلتقيا مع ديانا وكينيث في الصباح الباكر.. قارب الصيد حجز للساعة التاسعة، على أن ينطلقوا من الميناء الملحق بفندق الصديقين.

قالت ديانا حين اتصلت لتأكيد الاتفاق:

ـ اجلبا معكما سلة طعام. بعض أفخاذ الدجاج والسندويشات، وعلب المرطبات.

كلف ڤيكتور الخادمة مارولا، مسؤولية تحضير سلة الطعام، وهما يستعدان للرحيل قبل الثامنة بقليل. تقدمت المرأة الطيبة إلى السيارة، تحمل السلة، فقال ڤيكتور بخشونة:

ـ سأضعها في الصندوق، أعطني إياها.

انتزعها منها بقسوة.. وهي تراقب المنظر، أجفلت ليجي؛ فهذا تصرف ليس من طبيعة ڤيكتور، فهو عادة مثال للأخلاق الطيبة.. لكنها لاحظت أنه متوتر اليوم، وأن توتره يزداد.

بدلاً من أن يفتح الصندوق ليضع السلة، فتح غطاء السلة وصاح:

ـ ما هذا؟ قلت لك أن تضعي علب المرطبات، وليس إبريقاً من

العصير! أيتها المرأة الغبية اللعينة! ألا يمكنك فعل شيء صحيح؟

راقبت ليجي وجه مارولا ينكمش.

ـ أنا آسفة سيدي.. ظننت..

ـ ظننت! ظننت! لا تقولي لي ما ظننت! افعلي فقط ما أقوله! فأنت لا تقبضين أجرك لتظني..!

كان هذا تصرفاً مشيناً لا يغتفر.. ولو أنها تحس بمعنويات مرتفعة أكثر لتدخلت. لكنها استدارت، أحست بالغثيان والقرف في أعماق معدتها.. ولو كان لديها أدنى تردد فيما كانت تنوي فعله لقوّت هذه الحادثة غير اللطيفة عزيمتها.

ما إن أصبحا في السيارة حتى سألته فوراً:

ـ هل بإمكانك التوقف عند مكتب البريد، لأتمكن من إرسال المزيد من البطاقات؟

لم ينظر إليها وهو يرد:

ـ وما هو الملحّ في بطاقتين بريديتين؟ هل هناك سبب محدد لإرسالهما الآن؟

ـ لا سبب أبداً. وبالطبع لا داعي للعجلة.. إذا كنت تصر بإمكاني إرسالهما بعد الظهر.

لكن عدم إرسالها بالبريد كان مقلقاً قليلاً، فحملها للرسالة معها طوال النهار، أشبه بحمل قنبلة مؤقتة! لكن، لا شيء يمكنها أن تفعله، فلو جادلته أكثر من هذا ستجعله يشك، وهو في مزاج صعب وخطير.

لحسن الحظ، بدا أن مزاجه الأسود لان قليلاً بعد أن خرجوا إلى عرض البحر. وبالرغم من بداية مهزوزة مضى النهار بشكل جيد جداً.. نادين وكينيث رفيقان رائعان وصيد السمك بحد ذاته، بالرغم من صيدهم القليل، كان طريقة مسلية لقضاء الوقت.

صاحب المركب الصغير القوي، الصياد المحلي، المدعو ماك جيل، أخذهم إلى الناحية الأخرى من الجزيرة، إلى المياه السوداء الأعمق للمحيط الأطلسي.

ـ هناك الكثير من سمك «البراكودا» هنا.. ربما يحالفكم الحظ وتصطادون منه شيئاً!

عبست ليجي في وجه الشقراء المتمددة معها تحت أشعة الشمس، كلتاهما مهتمتان أكثر بالتقاط سمرة الشمس من التقاط مثل هذا الصيد المتوحش. وضحكت نادين، وهي تنظر إلى زوجها:

ـ إنهم لا يكبرون أبداً.. مهما بلغ سنهم، فقلوبهم تبقى صغيرة.

دفعت ليجي خصلة الشعر البني الفاتح التي تلاعب بها الريح الخفيف على وجهها، وتركت عينيها تتجهان إلى مقدمة المركب، وإلى الرجل الأسود الشعر الجالس في شورت كاكي، مديراً ظهره لها. جالساً هناك في المقعد الثابت المخصص للصيد، يتصرف مع القصبة الثقيلة بحنكة خبير، بدا لها أنه فعلاً يملك جواً من الطفولة حوله، والذي قد يبدو ساحراً لكل من ينظر إليه ببراءة.. لكنها وهي ترد ابتسامة نادين، في موافقة لبقة، كانت تحس بخيبة أمل عميقة. من المؤسف أن يكون رجل بمثل هذا الكمال، دون أساس أخلاقي متين. لو أن واجهة الاكتمال والحشمة فيه حقيقية، فسيصل حد الكمال الرجولي.

دعا ماك جيل إلى استراحة بعد وقت قصير، وقال:

ـ بإمكانكم تناول الغداء بينما أتجه إلى الأعماق.

وكانت استراحة في محلها، اجتمع الأربعة حول سلتي الطعام، وكان من الواضح أن هواء البحر قد زاد من حدة شهيتهم.. أخرج ڤيكتور بعض أفخاذ الدجاج المحمرة، وقبل أطراف أصابعه على

الطريقة الفرنسية، لإظهار إعجابه، وقال بحماس:

ـ فورميدابل!

وحث نادين وكيتيث على تناول بعضها:

ـ إنها تبدو لذيذة جداً.

رمقته ليجي من تحت رموشها بسخط، متذكرة ما فعله بمارولا من أجل علب المرطبات.. لماذا كان قاسياً هكذا معها، في حين كانت تقوم بعمل رائع للعناية بهما؟ لكن، مع عجرفته المثالية، وطريقته المتقلبة النزوات، بدا أنه نسي تماماً تلك الحادثة المزعجة الصغيرة، وهو يأخذ العلب الباردة ويفتحها ثم يصب منها في الكؤوس، وبابتسامة تذيب العظام، مرّر الكأس الأول إلى ليجي ومدّ كأسه إليها:

ـ نخبك شيري!

حين تلامس كأساهما، مد يده إليها يجذبها إليه ليقبل خدها.

كرهت ليجي تحرّك أحاسيسها نتيجة ملامسة شفتيه بشرتها برقة.. كيف يمكن لجسدها أن يقشعر هكذا بعجز، بينما يقف قلبها ضده تماماً؟ تمنّت بإلحاح فجائي أن تنتهي هذه العطلة.. فهي لم تعد بحاجة إليه، وكل دقيقة تجبر نفسها فيها على البقاء معه، ستكون عقوبة ذاتية لها.

لكن نادين قرأت الموقف بشكل مختلف.. حين عاد الرجلان إلى الصيد فيما بعد، وتمددت المرأتان مجدداً في الشمس، نظرت إلى ليجي ومنحتها ابتسامة:

ـ لو لم أكن امرأة متزوجة وسعيدة، لحسدتك.. كلاكما تبدوان رائعين معاً.. احرصي على التمسك به، إنه رجل فريد من نوعه.

يا لنادين المسكينة المخدوعة.. ابتسمت ليجي لها.

ـ لا أظن أن أحداً منا جاد تماماً تجاه الآخر.. فما بيننا لا يعدو كونه مجرد عطلة رومانسية.

رفعت نادين حاجبها:

ـ آمر مؤسف.. كانت لدي آمال كبيرة في ڤيكتور.. لكنني أعتقد أنني قابلته في الوقت غير المناسب.. كان هذا بعد وقت قصير من موت والده واضطراره لاستلام إدارة المؤسسة، وكان لديه مشاغل كثيرة.

بدت الدهشة على ليجي:

ـ أتعرفينه منذ ذلك الوقت؟ لم يكن لدي فكرة أنكما صديقان منذ زمن بعيد.

ابتسمت نادين:

ـ منذ ثماني سنوات تقريباً.. وأعتقد أن هذا وقت طويل.

ثماني سنوات؟ لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً!

ـ لكنه تولى إدارة الشركة وهو في الواحدة والعشرين، وهذا يعني خمسة عشر سنة!

هزت نادين رأسها ضاحكة:

ـ وقائمك مخطئة قليلاً.. كان صغيراً حين استلم الإدارة لكن ليس بهذا القدر.. كان يقارب الثمانية والعشرين.

قطبت ليجي متشوشة.. كم أن هذا غريب.. ايليانور قالت لها إنه كان في الواحدة والعشرين.. فهل كذبت في هذا أيضاً؟ أم أنها كانت مخطئة؟

لكن ليجي لم تتح لها فرصة التفكير بهذا اللغز، فقد قاطعت حديث المرأتين صيحة انتصار من كينيث:

ـ هاي.. لقد التقطت شيئاً.

كان ماك جيل قربه على الفور.

ـ تبدو كبيرة.. من الأفضل أن ترتدي الرباط..

أشار برأسه إلى حزام أمان جلدي، متصل بكرسي كينيث.

ـ بعض هذه الأسماك قوية جداً.. ويمكنها أن تقاوم بشراسة.

لكنّ كينيث استدار مبتسماً إلى زوجته يشاركها الانتصار متجاهلاً الخطر، ومخففاً قبضته على القصبة وهو يفعل هذا.

كان هذا لمجرد لحظة، لكنها كانت كافية. وأمام رعب ليجي، اشتد خيط الصيد بشراسة، منتزعاً كينيث من مقعده وكأنه دمية، وجره معه فوق سطح المركب.. لكن، ما كان ليصيبه أي ضرر لو ترك القصبة من يده، بينما كان ماك جيل يصيح به أن يفعل هذا. وبتصميم متجهم، استمر متمسكاً بها، ليرميه الخيط المشدود على جانب المركب.

هبّ ڤيكتور واقفاً، ماداً ذراعه ليقبض على صديقه، لكن قبضته كانت أقصر بسنتمتر واحد، ثم، طار كينيث من فوق المركب بحركة بطيئة رهيبة.

ساد صمت فوري، وكأنما الزمن توقف.. وبدا أن الأربعة المتبقين على المركب تجمدوا في أماكنهم.. ثم ولي لمح البصر، وقبل أن يستعيد الآخرون وعيهم، كان ڤيكتور يقفز من فوق سياج المركب إلى المحيط، خلف صديقه.

وقفت ليجي مذعورة.. حتى قبل أن تسمع صوت اصطدامه بالماء، قفز قلبها بلهفة وإثارة إلى حلقها. نظرت إلى دياثا التي بادلتها النظر، وعرفت كل منهما ما تفكر به الأخرى دون حاجة لكلمات.. كان هذا مكتوب في الخوف الصارم الذي كان يشع من وجهيهما.. كلمة واحدة رهيبة.. البراكودا المفترسة!

بينما أسرع ماك جيل إلى غرفة القيادة، ليخفف سرعة المركب، ويصيح في نفس الوقت:

ـ أمسكا حزام الأمان!

رمت المرأتان بنفسيهما إلى مقدمة المركب.. ووصلت ليجي إلى هناك أولاً، لتميل فوق السياج، وقلبها يكاد يقف داخلها، تنظر إلى الأمواج.

لم تجد أثراً للرجلين.. وكأن الأعماق ابتلعتهما معاً.

أخذت ليجي تدعو الله من بين أنفاسها:

ـ أوه.. يا إلهي! يا إلهي العزيز! رحمتك!

كانت تحس بموجة من الذعر، باردة كالثلج، تتصاعد ببطء من كعبي قدميها، وما هي إلا لحظات حتى غمرتها، تشل تفكيرها، تكتم أحاسيسها.. كل حركة بدت ميتة في داخلها، ما عدا الخوف المصدوم الصاعق.

ـ راقبا الميمنة!

استدارت ليجي لتلحق عيناها بأصبعه وهو يصيح، وهناك على بعد خمسين ياردة من المركب، ظهر رأس أسود.. ولجزء بسيط من الثانية، تراخت عقد معدتها ارتياحاً.. إنه ڤيكتور، وكان يلوح لهم.. إنها لا تكاد تصدق هذا.. المحيط لم يبتلعه!

لحظة بعدها، ظهر رأس آخر.. مع أنها استطاعت أن تعرف أن كينيث كان فاقد الوعي، جسده المتراخي تدعمه ذراعا ڤيكتور القويتان. ثم تقدم ماك جيل إلى السياج يحمل إطار نجاة ورماه فوق جانب المركب إلى الرجلين. على الفور سبح ڤيكتور بقوة نحوه، لا يزال كينيث يمسك بذراع واحدة، وأخذ ماك جيل يسحبهما إلى جانب المركب، إلى الأمان.

وما بدا وكأنه أبدية لا تنتهي لم يكن في الواقع سوى بضع دقائق. جُرّ كينيث من فوق جانب المركب، ليلحق به ڤيكتور يرفع نفسه بسهولة إلى السطح.

وقفت ليجي تنظر إليه مشلولة بالمشاعر، وكأن قدماها مثبتتان بالمسامير فوق سطح المركب، تحاول استيعاب أنه لم يصب بأذى، وأنها لم تشعر من قبل بمثل هذه البهجة في حياتها.. ثم وهو ينظر إليها بتلك الابتسامة التي أصبحت معتادة عليها، شيء ما في داخلها، انفجر متحرراً، ورمت بنفسها عبر السطح إليه، يكاد قلبها يتوقف وهو يحملها بين ذراعيه..

حين ضمها إليه، كانت ذراعاها حول عنقه، وجهها مدفون فيه، تذرف دموع الارتياح، وسمعت نفسها تشهق وتمسح شعره الأسود بيدين مرتجفتين:

ـ أوه.. أحمد الله على سلامتك.. لا تفعل شيئاً كهذا مرة أخرى! سأموت لو حدث لك شيء!

كان اهتمام الجميع منصباً على كينيث المصدوم المنقلب على وجهه للنصف ساعة التي تلت.

ما إن أصبح فوق المركب حتى استعاد وعيه، لكنه كان لا يزال داثخاً وفي حالة صدمة. وأعطاه ماك جيل بطانيات لفوه بها حين نقل إلى الكابين في الأسفل، وأعد له قهوة حلوة ساخنة.

قال كينيث بإصرار، وحرجه ظاهر للإزعاج الذي سببه:

ـ أنا بخير الآن.. لا تقلقوا عليّ! أنا فقط آسف لأنني كنت أحمق غير مكترث، وانتهى بي الأمر بتعريض ڤيكتور للخطر أيضاً.

رد ڤيكتور بتواضع:

ـ أحداث كهذه تحصل لأي كان.. ربما في يوم ما ستبادلني الشيء نفسه.

بالطبع، كانت هذه نهاية رحلة الصيد.. لم يعد لأحد أي مزاج للمتابعة. وبتعليمات من ڤيكتور، أدار ماك جيل المركب وعاد نحو باربادوس.

كان الوقت لا يزال مبكراً، نسبياً، فالساعة لم تتجاوز الخامسة إلاّ بقليل حين رسا بهم المركب في ميناء الفندق.. أصرّت نادين على دعوتهما:

ـ ايقيا هنا لتتناول شراباً قبل عودتكما إلى الفيلا.

لكن ڤيكتور رفض:

ـ كينيث بحاجة إلى الراحة، كلاكما يجب أن يرتاح. لقد تلقينا صدمة مزعجة جداً.. لا تقلقي، سنراكما قبل أن نغادر.

هكذا، ومع بدء تجمع ظلمة المساء، والليل يهبط بسرعة في المناطق الاستوائية، صعد ڤيكتور وليجي السيارة عائدان إلى «الخليج القضي».

مزاج غريب خيّم على ليجي ما إن مرت لحظات التخلي عن الأمل فوق المركب، ومع أنها حاولت إخراج الذكرى من رأسها، إلا أن تلك اللحظات الحاسمة، وكل العواطف التي مزقتها، كانت موسومة بألوان برّاقة في دماغها. ولقد آمنت وهي تتعلق به، دون أي تحفظ، أنها تحبه.

وكانت فكرة رهيبة، مع ذلك وفي تلك اللحظة العنيفة اشتعل قلبها. ولم تستطع إطلاقاً مقاومة المشاعر التي غمرتها، ممثلة بشوق يائس أن تحول عاطفتها إلى كلمات.

ولقد قالت كثيراً.. ذكرى الكلمات التي تمتمتها أخجلتها.. لكن، على الأقل، لم تقل أكثر الكلمات حسماً.. لم تقل: «أحبك». وبدا لها أن قلبها أصبح دون ثقل أو كرامة. كيف يمكن له أن يحب رجلاً كهذا؟ تستطيع الآن تصور كم سيستجيب بسخرية لإظهارها المعيب لعاطفتها.. لكن، لو كان يفكر باستغلال هذا الموقف، فلسوف تصحح له وهمه.

فاجأها قائلاً:

ـ هاي، ألم تنس شيئاً؟ الأفضل أن نمر على مكتب البريد قبل أن يقفل.

قطبت ليجي، نامية:

ـ مكتب البريد؟ لماذا؟

ـ لبطاقاتك البريدية.. التي كنت متلهفة على إرسالها هذا الصباح.

تذكرت ما أبعده جيشان عاطفتها الأخير عن ذاكرتها:

ـ أوه.. أجل.. بالطبع.

الرسالة التي كتبتها إلى «البوغل» كانت لا تزال في حقيبتها:

ـ لقد نسيتها.

وأحست بموجة ارتباك تكسوها.

ـ ألا زلت ترغبين في إرسالها؟

التقت عيناها بعينيه، لكنها أبعدتهما مسرعة:

ـ أوه.. أجل.. بالطبع.

خارج مركز البريد، شد ڤيكتور المكبح اليدوي:

ـ سأنتظر هنا، ادخلي وانهي ما جئت لأجله.

ما إن وقفت على الرصيف، حتى تملّكتها الشكوك.. فجأة بدا لها ما تنوي فعله كريهاً لا أخلاقياً.. وأحست بوخز ضميرها وهي تبتعد عن السيارة. كيف يمكنها هكذا، وبكل برودة دم، أن تخون الرجل الذي ومنذ ساعات قصار، آمنت أنها تحبه؟

لأنها لا تحبه.. ولأنها لا تستطيع أن تحبه.. وبإرسالها الرسالة ستبرهن لنفسها على هذا.

دخلت بتصميم من الباب الرئيسي، وانضمت إلى الصف القصير للزبائن.. فكري بايليانور، فكري بمارولا.. فكري بتلك القصة التي سمعتها منه ليلة أمس..! الرجل لا يستحق مشاعرك

المجنونة.. أظهري قليلاً من الشجاعة، وعامليه بما يستحق!

كانت الشكوك تتضاعف في داخل رأسها مع وصولها السريع إلى شباك المكتب. هناك أفكار كثيرة لا يمكنها جمعها، كتلة ضخمة من الارتباك لا يمكنها فهمها. مثلاً، تلك القصة التي روتها نادين اليوم، والتي لا تنطبق مع الصورة التي رسمتها ايليانور. كل هذا بدوره ذكرها بشكوكها في مسألة الأوبرا.

نظر إليها موظف مكتب البريد:

ـ كيف أستطيع أن أخدمك آنسة؟

لكن ليجي كانت تكاد تبكي من الإحباط.. فهل كانت تبحث بهذا عن سبيل للتراجع بسماحها لأحاسيسها الغبية أن تقع رهينة عواطفها؟

كان الموظف ينتظر، وهناك أشخاص خلفها ينتظرون وهي تقف هناك مصدومة صامتة، تؤخر الصف كله، وتنفست عميقاً:

ـ أريد بعض الطوابع أرجوك.

في لمحة تفكير سريعة، قررت أن لا ترسل الرسالة اليوم، وستنام لتفكر بالمشكلة، وربما سترسلها في الغد.

وأكملت مبتسمة:

ـ طوابع لانكلترا، أرجوك.

ثم بإحساس ارتياح، ومع اتخاذ القرار، أخرجت من حقيبتها بضع بطاقات بريدية.. لكنها وهي تخرجها جمد الدم في عروقها، فالرسالة التي سببت لها كل هذا العذاب، لم تكن هناك.

كانت صدمة الاكتشاف كضربة جسدية لأحاسيسها. كيف يمكن هذا؟ أين ذهبت الرسالة؟ تجمد فكرها من الذعر، دفعت ثمن الطوابع وتمكنت بطريقة ما أن تلصقها على بطاقاتها البريدية.. لا شك أنها وقعت منها وهي على المركب، أو ربما في الفندق.

راجع دماغها كل الاحتمالات بنوع من العذاب المبرح، في محاولة جاهدة لمراجعة كل التفاصيل.. لكن، دون جدوى، لقد اختفت الرسالة، وقضي الأمر.

خرجت من مكتب البريد إلى الشارع، أحست بالبرد والارتجاف بالرغم من حرارة الجو. لو أنها أوقعتها في الفندق، فلا خطر في ذلك، إذ لا يوجد شيء على المغلف يربطه بها.. لكن إذا وجدها ماك جيل على مركبه، فسيعرف أنها لواحد من ركابه اليوم.. وسيتصل بنادين وكينيث وبدورهما سيعرفان حتماً أنها إما لفيكتور، أو لها.

وصلت السيارة، وقلبها ثقيل كالرصاص في صدرها. بعد أن فتح لها فيكتور الباب، دخلت مترددة.. وسألها بلطف:

ـ أنهيت كل شيء؟

هزت رأسها دون أن تنظر إليه.

ـ أجل.. شكراً لك.

وأحست أنها ستنفجر باكية.

في طريق العودة.. كانت ممتنة جداً أنه لم يحاول، ولأول مرة، أن يحادثها.. فهي لن تكون قادرة على جمع كلمتين معاً.. كل زاوية من دماغها كانت تتركز على الرعب الذي سيحصل لو عرف محتويات الرسالة.

إذن، عليها التفكير بطريقة تتجنب فيها مثل هذه الكارثة.. ولا بد من وجود طريقة.. آه لو أن دماغها يستطيع الوصول إليها.

كانت خلاياها الرمادية تتمخض عن غضب مجنون وهما يدخلان بوابات الفيلا الحديدية الكبيرة، ويتجهان بسرعة عبر الممر الداخلي.. فتحت الباب بحدة.. وخطت إلى الأرض المرصوفة بالحصى الناعم.. يائسة فجأة من أن تكون لوحدها.. لو أنها فقط

تستطيع الحصول على ساعة من الهدوء والسكينة. فلربما استطاعت الخروج بفكرة من الممكن أن تنقذها.

أصبح فيكتور ورائها تماماً وهي تسرع صاعدة السلم إلى الشرفة.

- إلى أين أنت ذاهبة؟ تبدين مستعجلة قليلاً.

بشيء من نفاذ صبر، استدارت تنظر إليه من فوق قائلة بحدة:

- أنا ذاهبة لأستحم، وسأمتلقي في المغطس لوقت طويل.

- فكرة جيدة.

لكنه لم يتركها، وأصبحت عيناه فجأة كقطعتي «ماس» قاسٍ، ومد يده إلى جيب بنطلونه الخلفي، وبحركة سريعة أخرج منه شيئاً.. واشتدت يده على معصمها:

- ستحصلين على حمامك شيري.. بعد أن تتاح لنا فرصة للكلام معاً.

- كلام؟ حول ماذا؟

لكنها تصلبت رعباً.. قال بلهجة جمدت كل عصب فيها:

- حول هذا شيري.

ومد يده أمامها بالرسالة المفقودة متجعدة مفتوحة.

* * *

liilas.com
rayqh

٨ ـ هل قتلت أختي؟

حدقت ليجي بالرسالة مصدومة غير مصدقة.. وقالت هامسة، وهي تحس بالدم يجف من وجهها:

- أنت..! أين وجدتها؟

قبل أن يرد، لوى ذراعها خلفها بحدة، ودفعها أمامه على السلم إلى الأعلى، وجرّها إلى غرفة الجلوس. فتهاوت ووقعت فوق مقعد بذراعين.. ووقف فوقها:

- وجدتها في حقيبتك.. وقرأتها وأنت في مكتب البريد وأنت تشترين الطوابع للبطاقات البريدية!

أحست وكأنها تعثرت لتقع رأساً على عقب وتجد نفسها في كابوس.. كانت راحتا يديها مبللتين دبقتين.. وقطرات العرق البارد تتفصد من جبهتها، دون أن يكون لهذا علاقة بحرارة الجو.

سألته بوهن:

- وأي حق لك في أن تعبث بحقيبتي، وتقرأ رسائلي الخاصة؟

أطلق شخرة سخرية جمدت الدم في عروقها، وانكمشت في مقعدها:

- أتجرؤين على السؤال عن أي حق لي؟ لست أنا من يخضع الآن لاستجواب شيري! بل أنت من يجب أن تقدمي بعض التفسير!

ضمت قدميها تحت تنورة فستانها، وتحضرت لمقابلة الغضب

في عينيه . . وقالت ببؤس صرف :

ـ لم أكن سأرسلها، أقسم لك . لقد غيرت رأيي .

لم يصدقها . . شفتاه تكورتا في تعبير خشن مخيف . ثم تقدم منها خطوة، وكأنما ليمسك بها، وانعقد الحاجبان السوداوان معاً :

ـ ما أريد أن أعرفه، هو لماذا تفعلين هذا؟ ومن أنت بحق الشيطان على أي حال؟

تصاعد التوتر داخلها . . وابتلعت ريقها :

ـ من . . أنا؟

ـ من أنت شيري . . وسؤالي بسيط بما يكفي! هل ستجيبين أم أجبرك على الإجابة؟

فتحت فمها، لكن لم تخرج الكلمات منه، فدماغها فجأة لم يعد قادراً على تشكيل الكلمات . . قلبها كان يدق بصوت مرتفع في صدرها إلى درجة أنها لم تستطع سماع نفسها تفكر .

ـ سألتك سؤالاً! وأنا أنتظر الرد!

كانت أصابع كالفولاذ تطبق عليها، وتجعلها تجفل ذعراً وألماً، وتشهق لتتنفس :

ـ أنا منتظر أن تخبريني من أنت!

حاولت الخلاص منه لكنه شد قبضته وصاح بنفاد صبر :

ـ انطقي شيري! من أنت؟

أغمضت عينيها، لا تجرؤ على النظر إليه . . وتمتمت :

ـ أنا . . شقيقة ايليانور .

للحظة، هبط سكون وصمت رهيبين، وكأنه يحاول استيعاب ما قالته . ثم، مع فتحها لعينيها، سألها ببطء :

ـ أتعنين ايليانور وايت؟

ـ أجل . . أنت تذكرها إذن؟

ـ بالطبع أذكرها! لكنني لا أفهم لماذا تتورط شقيقة ايليانور بحملة متعمدة لتدميري . . أعتقد أن هذا ما كنت تحاولين فعله؟

أحست بموجة عار باردة لعمق خداعها . على أي حال، لقد وثق بها، وهي خانته . . ثم أبعدت عن نفسها الخجل . . إنه يستحق! نظرت إليه بثبات قائلة :

ـ أردت الانتقام منك لموت ايليانور .

ـ موت ايليانور؟ وما دخلي بموتها؟ لقد ماتت بمحض اختيارها كما عرفت . . وبعد سنة من عودتها إلى انكلترا .

ـ والفضل لك، ولما فعلته بها!

لقد آمنت بهذا لمدة طويلة حتى أنها الآن تقوله دون تفكير . . مع ذلك، وفي أعماقها، كان الشك يتعاظم . في الحقيقة، لم تعد متأكدة مائة في المائة .

وقف أمامها جامداً . . ثم سأل :

ـ وماذا فعلت بها؟

ـ حطمت قلبها . . هذا ما فعلت! ربما لم تكن موجوداً ساعة ماتت، لكنك أتت من دفعها لتنهي حياتها!

رد بلهجة مريرة تبلغ حد القسوة :

ـ أشك في هذا كثيراً . . في الواقع . . فإذا لم أكن أنا، فهناك أحد، أو شيء ما، كان سيوصلها إلى هذا المصير في النهاية . . فشقيقتك، كما لا بد تعرفين، لم تكن ثابتة عاطفياً . . فقد حدث في حياتها طلاق، وسلسلة من العلاقات التي تحطمت، قبل أن تلتقي بي .

ثار غضب مفاجيء داخل ليجي . . إنه يدافع عن نفسه بتشويه سمعة ايليانور!

ـ شقيقتي لم تكن غير مستقرة عاطفياً! كانت ببساطة قليلة

الحظ.. حكم سيء على الرجال.. وبما أنك تقول إنك كنت تعرف ماضيها، ألم يكن هذا سبباً كافياً لأن تعاملها ببعض الحنان والمراعاة؟ أم أن رجلاً مثلك، ينظر إلى امرأة ضعيفة، كلعبة تسلية؟

لم يرد.. لكن صمته كان راعداً.. ملأ الغرفة بترقب كان رهيباً.. حتى أن ليجي سارعت لتكمل:

ـ لماذا لم تتركها وشأنها إذا كنت لا تريدها؟ لماذا استمريت في إغوائها؟

ضاقت العينان الزرقاوان:

ـ أهذا ما قالته لك؟

ـ وهل تنكر؟

استدار فجأة لينظر إلى الشرفة في الخارج.. مديراً ظهره العريض نحو المقعد الذي تجلس فيه.. وقفت ليجي متمايلة على قدميها، خائفة أن يوقف الحديث ويتركها قبل أن تنهي ما تريد.. فبالرغم من الهجوم المرير الذي أطلقته، كان جزء معذب منها يتوق للإنكار الذي سينهي في النهاية كلما آمنت به سابقاً.

كان صوتها يرتجف وهي تسأل:

ـ هل تقول إنك لم تعدها بشيء أبداً.. وإنك لم تطلبها للزواج.. وإنها اخترعت كل هذا؟

استدار ينظر إليها:

ـ أنكر هذا بكل تأكيد! الفكرة بحد ذاتها منافية للعقل!

خفق قلبها، وشدت على قبضتيها بقوة:

ـ أيمكنك إثبات هذا؟

فجأة وقف أمامها شامخاً، بخطوتين غاضبتين غطى المسافة بينهما:

ـ أثبته؟ إذا كان لأحد أن يثبت شيئاً فهو أنت، وليس أنا!

انتزع الرسالة مرة أخرى من جيبه، ومدها في وجهها:

ـ أنت من يوزع الاتهامات.. وعبء إثبات الأكاذيب يقع على عاتقك.. شيري!

وضع يده فجأة على كتفها، قبضته قاسية لا ترحم كصوته تماماً:

ـ وما هي القصص الأخرى التي سرّبتها «للبوغل»؟ هيا.. قوليها.. ماذا قلتِ لهم بعد؟

انكمشت ألماً تحت قبضته الفولاذية:

ـ إنك دفعت أختي إلى موتها.. ولا شيء غيره.. أقسم لك.. ! فقط هذا!

أطلق من فمه سباباً، ثم:

ـ هذا فقط؟ يا إلهي! لقد كان يومك فعلاً مشهوداً!

حفرت أصابعه في لحم كتفها كالكماشة:

ـ إذن أخبريني شيري.. متى خططت لكل هذا؟ هل جئت إلى المؤتمر وخطتك جاهزة؟

ـ بالطبع لا! لم أكن حتى أعرف أنك ستكون هناك! قررت أن أفعل هذا، في الواقع، حين أخبرتني عن الذين يلاحقونك، وأجبرتني على الاشتراك في هذه المهزلة الغبية.

ضاقت عيناه، غير مصدق:

ـ لماذا إذن سرقت مسجلتي؟

نظرت إليه بيؤس.. كانت قد نسيت تقريباً ذلك التصرف الغبي الذي كان البداية المهلكة التي قادت إلى كل هذا المأزق.

ـ لم يكن لذلك علاقة بهذا، أخذتها فقط لأزعجك.. ولم أفكر بأي شيء آخر في تلك المرحلة. أرجوك صدقني.. أنت بنفسك أعطيتني الفكرة!

- فهمت.
يبدو، والشكر للسماء، أنه صدقها.. ترك كتفها وأبعد يده.
- إذن، وبعد أن أعطيتك الفكرة بكل كرم. قررت الاتصال بالمرأة في «البوغل» وعرضت عليها أن تكوني الواشية؟ وإذا لم يستطع البقية النيل مني فستفعلين هذا أنت؟
- شيء مثل هذا..
الطريقة التي وصف بها الأمر تبدو شريرة قاسية. تراجع عنها ببطء ونظر إليها:
- أتعلمين.. بدأ كل شيء يعود إلى ذاكرتي.. أنت «ليلي».
أجفلت لذكره اسم طفولتها، فابتسم بمرارة:
- ومن كان يظن أن طفلة صغيرة بريئة التقيتها منذ سنوات في كورسيكا، ستنقلب لتصبح هذا النموذج الشرير المخادع؟ أنت تلعبين دور العميل المزدوج. ولا بد أنك تشعرين بالاعتزاز بنفسك!
في الواقع، هذا أبعد ما يكون عن الحقيقة.. أحست ليجي بالحقارة، والوضاعة، والخجل المخزي من نفسها.. قالت محتجة:
- لم أكن سأرسل الرسالة.. قلت لك هذا.. لقد غيرت رأيي.
سخر منها:
- بالطبع غيرت رأيك! لهذا كنت مصممة أن آخذك إلى مكتب البريد.
ثم وبحركة شرسة متعمدة، رماها بالرسالة لتستقرّ لحظات على كتفها، ثم تقع أرضاً:
- لكنني أخشى، ما شيري، أن لا تكوني صالحة لأن تكوني جاسوسة. فالطريقة التي استمريت فيها بطرح أسئلة موجهة، جعلتني أرتاب بأنك تنوين شيئاً.. مع أنني أعترف أنه لم يخطر

ببالي أن يكون شيئاً كريهاً مثيراً للاشمئزاز كهذا.
صمت ليفرس في وجهها بعينين كخطافين من فولاذ.
- على فكرة، القصة التي رويتها لك هي محض خيال.. ابتكرتها لأرضي فضولك. تلك الحادثة المزعجة، حدثت وكما أخبرتها لك.. لكنني لم أكن متورطاً بها، ولم تجر في الشاليه الذي أملكه.
ضحك بخشونة، ودون مرح:
- ابحثي عن القصة لو شئت. أو أرسليها إلى أصدقائك في «البوغل» وليتأكدوا منها.
دس قبضتي يديه في جيبي بنطلونه، وكأنما يفضل أن يبقيهما تحت سيطرته، ونظر إليها كما ينظر المرء إلى لطخة فوق سجادة.
- ظننت أن شقيقتك كاذبة وقحة.. لكن أنت في طبقة مميزة وحدك؟
ثم، وكأنه لم يعد يستطيع تنفس الهواء الذي تتنفسه، استدار باحتقار، وخرج من الغرفة. وسمعت ليجي وقع خطواته تنزل السلم. وبعد لحظة كانت السيارة تدوس الحصى تحت إطاراتها.
بعد أن رحل.. جلست لوقت طويل، تحدق ببلاهة إلى الرسالة.. كم كانت غبية بلهاء لكي تعتقد أنها تستطيع هزيمته! لقد عرف مقاسها وصنفها منذ اللحظة الأولى.
لم يكن ڤيكتور شخصية ضعيفة أبداً ليتورط في مثل تلك العلاقة القذرة بالرغم من عيوبه، ولو أنها توقفت للتفكير بهذا، وبتعقل، للحظة، لأدركت دون شك هذا بنفسها.. لكن، ومن أول لحظة سمعت بالقصة، أزعجتها أكثر مما تريد. أما الآن فتحس بالراحة الكبيرة، لنفيها رسمياً.
عبست لنفسها: كم كانت ستبدو بلهاء لو أرسلت القصة إلى

البوغل! أقل ما يقال بعد أن يتأكدوا من صحتها أولاً، أنها مهووسة حقودة!

مررت يدها في شعرها المتلبد البني.. ماذا الآن عن ذنب ڤيكتور بالنسبة لإليانور؟ هل ثبت لها خطأها في هذا أيضاً؟

استندت على وسائد المقعد بقلق وتعب، تتذكر غضبه، رده الرافض لأن يزودها بدليل على براءته: عبء إيجاد الدليل يقع على عاتقك شيري! أنت من ترمين الاتهامات!

إنه محق طبعاً.. وأي دليل لديها ما عدا كلمة شقيقتها المشكوك فيها؟ مع أن كذبتين لا يمكن اعتبارهما دليلاً على كذب قصتها كلها، إلا أنهما على الأقل، ترميان ظلال الشك.. وأدركت ليجي بمشاعر مختلطة، انها إنما تحاول تبرير مشاعرها الممتلئة ذنباً. وبغض النظر عما تشعر به نحو ڤيكتور، لم تعد قادرة أن تستمر في اتهامه.

أدركت بوثوق فجائي أن هناك شيء واحد أمامها تستطيع أن تفعله.

وقفت عن مقعدها مصممة، وتقدمت إلى الهاتف في الردهة. التقطت السماعة، وطلبت رقم مركز الهاتف في المدينة.

ـ آلو! أريد أن أرسل برقية دولية.

بعد دقائق.. وهي تعيد السماعة مكانها، أحست وكأن عبئاً ضخماً ارتفع عن كاهلها.. البرقية كانت موجهة إلى الآنسة ايفرارد في صحيفة البوغل تسحب فيها كل كلمة من قصتها حول ڤيكتور واليانور، وتصرح، بشكل نهائي، لا تراجع فيه، أنها لن تعطي أية معلومات ضد ڤيكتور.

خرجت إلى الشرفة متوجهة إلى السياج، أحست بجفاف المشاعر والتعب يصل إلى عظامها.. حينما يعود ڤيكتور، ستخبره

أنها أرسلت البرقية، وما عليها سوى أن تدعو الله أن يجد في قلبه فسحة ليغفر لها.

بتنهيدة داخلية حزينة، أسندت نفسها على السياج، ونظرت إلى السماء المزدحمة بالنجوم. الطريقة التي خانته بها، لا يمكن الحديث عنها، والأكثر احتمالاً الآن أن يكرهها.. ومع ذلك، ربما، إذا رأى أنها نادمة حقاً، قد يسمح لها بفرصة أخرى..

فرصة أخرى.. لماذا؟ فرصة لاسترجاع أي أمل قد يكون لها في إقامة نوع من العلاقة التي لها معنى؟.. لم يكن لهذا الأمر سوى أمل ضئيل منذ البداية.. فأي أمل بقي لها الآن؟

قطبت في وجه القمر الذي كان معلقاً في الأفق.. وكأنه قد يوفر لها بعض الأجوبة.. لكن الكوكب الضخم الفضي، لم يكن لديه ما يقدمه.. كان يستمر في إرسال أشعته إليها بارد، متحفظ، لا يهتم. وإذا كان هناك أجوبة، فهي وحدها التي يجب أن تجدها.

في الصباح التالي، كان ڤيكتور لا زال غائباً..

بعد الثامنة بقليل، كانت ليجي، تسير نحو مائدة الفطور، شاعرة بالإرهاق بعد ليلة دون نوم، منتظرة عودته.. بينما هي تلتقط ثمرة «البابايا» أحست بمارولا تراقبها، خلسة، من طرف عينها.. ثم، أخيراً أجبرت ليجي نفسها أن تسأل:

ـ لا أعتقد أنك سمعت شيئاً من السيد دومارشيه؟

التقت عينا السيدة بعينيها:

ـ لا، آنسة، لم أسمع شيئاً.

صمتت لحظات، ثم، وكأنها قررت أمراً، مسحت يديها بمئزرها وتقدمت لتقف أمام ليجي:

ـ أرى أنك قلقة.. لذا أعتقد أن الوقت حان لأخبرك بأن رجلك هذا ينوي أمراً.. وهناك شيء أظن أن عليك معرفته.

استقامت ليجي في جلستها، تخفي سرورها الذي أحست به لوصف ڤيكتور برجلها.. مهما كانت مارولا قد أساءت فهم علاقتهما، فمن الواضح أن المرأة تعرف ما لا تعرف هي.. فسألت وكلها اهتمام:

ـ أخبريني.

ملست مارولا منزرها فوق ركبتيها السمينتين.

ـ حسناً.. يجب أن أشرح لك أمراً حول ما حدث صباح أمس، كبداية.. ذلك الجدال الحاد حول المرطبات. حين أخذ السيد ڤيكتور يصيح في وجهي..

لدهشة ليجي تهلل وجه المرأة بابتسامة:

ـ لست أدري إذا كنت أدركت هذا، كانت كلها تمثيلاً.

سألتها مجفلة:

ـ أتعنين أنها كانت محضرة؟ لكن، لماذا بحق السماء؟

هزت مارولا كتفيها:

ـ لست واثقة آنسة.. لم يقل لي أية تفاصيل.. كل ما قاله إنه يظن أن هناك أشخاصاً يراقبون المنزل، وإنه إذا دفعهم إلى الظن أن بيننا خلاف، فعلى الأرجح سيأتون ليدقوا الباب، ويقنعوني بأن أنتقم وأتجسس عليك وعلى السيد ڤيكتور، وأخبرهم أية فضيحة ممكنة، أتوصل إليها.

تجهم وجه المرأة وهي تؤكد لمستمعتها:

ـ بالطبع، أنا لن أفعل مثل هذا أبداً.. فسيكون هذا خيانة حقيرة مني.. لكن السيد ڤيكتور أخبرني ما أقول لهم.. إذا تبين أنه على حق، واتصلوا بي.

ـ وهل اتصلوا بك؟ هل جاء أحد يقرع بابك؟

ـ بكل تأكيد.. بينما كنتما في رحلة الصيد، جاءت امرأة

حمراء الشعر، وشاب نحيل جداً..

نفس الشخصين من نادي «هامنغ بيرد» اللذين قال لها ڤيكتور إنه شاهدهما!

ـ وماذا قال لك ڤيكتور أن تقولي لهما؟

جلست مارولا:

ـ حسناً.. طلب مني القول لهما إنني قادرة على بيعهما شيئاً أكثر إثارة من إشاعة، صور.. صور سرية يبقيها السيد ڤيكتور في صندوق لوحة السيارة.

وضحكت.. هازة رأسها، واستطاعت ليجي أن تتصور كم لعبت دورها بإقناع:

ـ قلت لهم إنني أستطيع الحصول على الصور وأنا أنظف السيارة، بعد عودتكما من رحلة الصيد.. وأعطيت لهما موعداً للقائهما مساء الأمس، في فندق صغير في «بريدجتاون» لتسليمهما الصور.

قطبت وجهها:

ـ وبالطبع، عرضا عليّ المال، لكنني لم أكن أنوي أن أقابلهما، ولا أن أسرق الصور من السيارة. قال السيد ڤيكتور إنه سيذهب إلى الموعد بدلاً مني.. وهذا آنسة ليجي، كل ما أعرف. وطلب مني أن أبقي الأمر سراً. لكنني فكرت، وقد اختفى هكذا أن من الأفضل أن أخبرك.

ابتسمت ليجي لها:

ـ أنا مسرورة لأنك أخبرتني..

أولاً.. أحست بالراحة لوجود تفسير لغيابه.. فهي سراً، كانت أكثر من قلقة.. لقد غادر المنزل ليلة أمس في مزاج رهيب جداً، حتى أنها خشيت أن تكون قد حصلت له حادثة ما.

ثانياً.. من المطمئن لها جداً أن تعرف أن ذلك الجدال مع مارولا يوم أمس لم يكن سوى مرحلة من تمثيليته.. ولقد أزعجها

أن تصدق بأنه قادر على معاملة خادمة بهذا السوء.

أغمضت عينيها وكبحت الدموع.. غفرانه لها هو ما يجب أن تسعى إليه.. وبهذا لوحده، يمكن أن ترتاح وتقنع.

كان الوقت متأخراً بعد الظهر حين سمعت الكاديلاك تدخل الممر الداخلي للڤيلا.. كانت على الشرفة، متمددة تحت الشمس، تحاول قراءة مجلة.

توقف قلبها في صدرها.. عند سماعها صوت الإطارات تسحق الحصى تحتها. ها قد انتهت فترة الانتظار، وستأتي الآن لحظة الحقيقة!

مع إقفال باب السيارة، وتصاعد صوت وقع الأقدام على السلم الخشبي، أخذت نفساً عميقاً، وتمالكت نفسها بسرعة، تشد روب شاطىء فوق البيكيني. ثم وهي تقاوم ذعرها، كتمت أنفاسها وانتظرت، مع تقدم وقع الأقدام على الشرفة.

وما هي إلا لحظة، حتى كان يقف أمامها، جسد طويل، خطير، في بنطلون خفيف وتي شيرت.. ولجزء من الثانية، اشتعل قلبها بسعادة حقيقية لمجرد رؤيته ثانية..

تمكنت من إخفاء الألم الذي كان يمر بها كحد السكين بجهد إرادي وهو يقول لها:

- إذن.. لا زلت هنا؟

وأين يتوقع أن تكون؟ هل كان يأمل أن ترحل؟ شدت قبضتيها مصممة.. لن تسمح لنفسها أن تحبط عزيمتها هذه البداية السيئة!

- قالت لي مارولا إنك خرجت وراء ذانك الشخصين اللذين كانا يلحقان بك.. فهل حصلت على مبتغاك؟ هل تمكنت من إلقاء القبض عليهما؟

استند على السياج الخشبي، دون رد ووضع يديه في جيبي

بنطلونه:

- وماذا لو فعلت؟ ماذا يمكن أن يهمك هذا كله؟

قالت بإصرار:

- أنا مهتمة.. حقاً. وآمل أن تكون لحقت بهما.

- هل أنت متأكدة أنك لم تكوني تأملين لي الفشل؟ أظنك نسيت إلى صف من كنت تقفين!

ابتلعت ريقها بصعوبة.. إنه قاسي القلب، لا يرحم.

- قلت لك من قبل.. لقد غيرت رأيي.. أرسلت برقية إلى البوغل وأنت غائب سحبت فيها كل كلمة قلتها لهم. حقاً.. أقول لك الحقيقة.. يجب أن تصدقني.

ضحك ساخراً:

- ولماذا أصدقك؟ لماذا أصدق من لم تفعل شيئاً سوى خداعي منذ اللحظة الأولى التي التقينا فيها؟

ارتجف صوتها قليلاً، وأضافت بانفعال:

- إنني لا أحاول خداعك بعد الآن.. بل أحاول أن أعوض عما فعلت.. أقسم بذكرى شقيقتي الميتة على هذا.

ثبّت عينيه الزرقاوين عليها بصمت.. وكان من الصعوبة بمكان أن لا ترفرف عينيها أو تبعدهما عنه ثم قال:

- ما الذي سبّب هذا الانقلاب المفاجيء.. إذا كان حقاً انقلاباً؟

إذن، هو في منتصف الطريق للتصديق، وارتاحت قليلاً:

- لقد أدركت أن ما قلته صحيح.. وليس لدي دليل على أي شيء.. إنها ببساطة، مسألة كلمتك ضد كلمة أختي.

ضحك ساخراً:

- كم أن هذا مؤثر! ظننت أن كلمة أختك مقدسة؟

أشاحت بنظرها عنه، تخفي ارتباكها.. ثم أعادت نظرها إليه

متعمدة:

ـ لقد قلت لك صدقاً إنني لم أعد ضدك.. فلماذا لا تعطيني على الأقل فرصة الاستفادة من الشك؟

بتنهيدة حادة، تنمّ عن نفاذ صبر أكثر من الاستسلام، أبعد نفسه عن السياج الخشبي، ووقف لحظات قبل أن يتقدم نحوها، ليجلس في أحد المقاعد الخيزران في مواجهتها، وينظر إليها بعينين غير مقروئتين.

ـ حسن جداً.. بما أنك مهتمة إلى هذا الحد، سأخبرك ما حدث، بالرغم من أنك خططت أساساً أن تفعلي العكس، إلا أنك ساهمت في نجاح خطتي.

مالت إلى الأمام:

ـ أتعني أنك حقاً تمكنت من النيل منهما؟

هز رأسه:

ـ كان الأمر سهلاً جداً في النهاية.. ولم يكونا ذكيين جداً.. على فكرة كنت أعرف أن مارولا ستبوح بحقيقة مؤامرتنا الصغيرة. إنها امرأة طيبة القلب، ولن ترغب في أن تتركك متوترة.

نظرت بعيداً، لا تستطيع احتواء الأمل الذي أخذ ينبعث إلى الحياة داخلها.. إذن، وبالرغم من إيمانه المطلق أنها خانته، لا زال يكل كرم أخلاق، يفكر بها.. وربما لم يضع كل شيء بعد.

وأكمل قصته:

ـ ليلة أمس، وبعد أن غادرت المنزل، ذهبت إلى الموعد الذي قطعته مارولا.. في فندق صغير مغمور وسط «بريدجتاون» حيث كان الشخصان ينوقعان استلام الصور.. ذهبت باكراً، وحجزت غرفة باسم مارولا، طلبت من موظف الحجز أن يقول لهما إن مارولا تنتظر في الغرفة.

سمح لنفسه بابتسامة انتصار صغيرة:

ـ كان فخاً بسيطاً.. لكنهما سارا إليه مباشرة.

ـ وهل كانا «هم»؟ ذانك الشخصان اللذان رأيتهما في النادي؟

ـ كانا هما فعلاً. مدام كيم مومزي، زوجة موظف سابق عندي، ومصور مأجور، ريشار غانسيا.. وما إن أحسا أنهما علقا.. حتى أصبحا يثيران الإشفاق.. وباحا بكل شيء دون انزعاج. كل القصة المؤسفة، كما تبين لي، كانت كما توقعت تماماً.

مال إلى الخلف ووضع يديه السمراوين على ذراعي مقعد الخيزران.

ـ كيم مومزي كان يعمل للمؤسسة.. كان رجلاً جيداً ومواظباً على عمله، لكن لسوء الحظ، كان جشعاً، وورط نفسه بكل أنواع العبث.. وجمع ما لا بأس به قبل أن يكتشف أمره ويطرد. آخر ما سمعته عنه أنه كان في «مونتريال» لكن يبدو أنه انتقل إلى «هوستن» منذ ثلاث سنوات.. في هذه الأثناء، أسس لنفسه حياة جديدة، بما فيها زوجة من تكساس.

ابتسم بسخرية وتنهد:

ـ كان من الحكمة أكثر لو ترك الأمور على ما هي عليه. لكن، ومن المؤسف، كان ينوي الانتقام.. فهو لم يسامحني على طردي له. حين سمع بمسألة شرائي لتلك الشركة، لم يستطع مقاومة محاولة تعقيد الأمور لي.. لكن للانتقام عادة سيئة بأن تسير أموره في اتجاه خاطىء.. خاصة حين لا تكون له أسباب موجبة..

أحست ليجي أن التأنيب موجه لها.. لكن، ألم تتعلم هذا بالطريقة الصعبة المريرة؟

فجأة غيرت الموضوع:

ـ إذن كان هو وراء كل هذا؟ ودفع بزوجته والمصور للّحاق بك..

ـ.. وعلى أمل أن يفاجئاني في لحظة حرجة.. في هذا الوقت كان هو واثنان من أصدقاؤه مشغولين بجمع كل ما نشر عني عبر السنوات.. على أمل نبش شيء قد يضر بي.. وأنا سعيد أن أقول إنهم لم ينجحوا.

ـ إذن.. بعدما اعترفا.. ماذا حصل؟

ـ حرصت على تسجيل كل الاعتراف، دون علمهما.. طبعاً. ثم بعد إجبار زوجته على إعطائي عنوانهما في «هوستن» أخذت أول طائرة إلى أميركا وذهبت فوراً لزيارة مومزي شخصياً.. وسأوفر عليك سماع تفاصيل ما جرى بيننا.. فلم يكن ما جرى لطيفاً.. يكفي القول إن المسألة كلها وضعت في يد البوليس..

أنزل يديه عن ذراعي المقعد وقال بلهجة انتصار:

ـ كل شيء كانت خاتمته مرضية.. إضافة إلى كل هذا تلقيت ليلة أمس أخباراً أن مسألة البيع أخذت الموافقة.

أحست بحرارة السعادة لأجله.. بل حتّى قليلاً من العزاء لنفسها.. على الأقل، مؤامرتها لم تضر به.. وهذا شيء يجب أن تكون ممتنة له.

كانت على وشك التعبير عن أفكارها حين حرك كرسيه وبدأ يقف:

ـ هكذا كل شيء جيد سوف تكون نهايته جيدة، كما يقال. وأعتقد أن علينا وضع خلافاتنا ورائنا.. فلا داعي أبداً أن نحمل الأضغان ضد بعضنا.

قفزت واقفة:

ـ أتعني هذا حقاً؟ أتعني أنك تسامحني؟

ابتسامة خفيفة لامست شفتيه، وأطراف عينيه:

ـ أسامحك.. أجل. لكن، على أي حال هناك شيء يجب أن أصرّ عليه...

حبست ليجي أنفاسها، ثم أحست بالدنيا تتشتت من حولها وهو يتابع بلهجة باردة كالثلج:

ـ في هذه الظروف، لن يكون مناسباً لنا أن نستمر في مشاركة هذه الڤيلا.. لذا أصرّ على أن تنتقلي منها فوراً، وهذا المساء بالتحديد.. وأنا واثق أن مارولا ستساعدك على توضيب حقائبك.

ثم استدار على عقبيه، وابتعد عنها، ليدخل غرفة الجلوس، دون أن ينظر إليها مجدداً.

* * *

liilas.com
rayqh

٩ ـ نهاية وبداية

إذن.. هذا كل شيء.. نهاية القصة.. ويا لها من نهاية مريرة شائنة!

غادرت ليجي القيلا ذلك المساء كما طلب، ووصلت سيارة تاكسي في تمام السابعة قال لها ڤيكتور:

ـ لا أرى ضرورة لبقائك على العشاء.. من الأفضل أن تستقري في الفندق بسرعة قدر الإمكان.

قاومت لتمنع شفتها من الارتجاف:

ـ تماماً.. وشكراً لك لحجزك غرفة لي في هذا الفندق الفخم.. آخر أسبوع لي على الجزيرة يبدو واعداً.

ابتسم بخشونة:

ـ هذا أقل شيء يمكن أن أفعله، لا يمكنني السماح لك بالانتقال إلى ذلك المكان الذي حجزت فيه أصلاً.

قطبت ليجي وجهها، متذكرة الصدمة التي واجهتها يوم وقعت عيناها على ذلك الفندق يوم ذهبت لإلقاء الحجز.

ـ لا.. هذا صحيح.. لا أظن أنه كان سيعجبني أبداً.

ثم تجرأت أن تلتقي عيناها بعينيه، وأحست بالألم يسري فيها. هل لديه فكرة كم يؤلمها؟

بدا أن ليس لديه أية فكرة وهو يفتح لها باب التاكسي ثم يغلقه

خلفها.. حتى أنه لم يلوّح لها، بل استدار فجأة، عائداً إلى السلم ثم الشرفة، بينما كان التاكسي يتجه بصمت إلى الخارج، ثم عبر البوابتين الكبيرتين، وبعيداً عن القيلا، بعيداً عن حياته، وإلى الأبد.

أمضت اليومين التاليين في نوبة ندم وإدانة لنفسها.. فأن تصل إلى اتفاق مع ما فعلته، يبدو أمراً مستحيلاً.

فالمسألة ليس فقط في أنها أبعدت ڤيكتور عنها.. بل وصولها إلى هذا التصرف الشائن، كان يثقل ضميرها، وقررت، بعذاب ضمير، أن عليها أن تحصد المرارة المؤلمة، نتيجة ما فعلت. وهي تستحق خسارة الرجل الذي أحبت.

إضافة إلى هذا، كانت تعلم أن غفرانه لها جاء من عقله، وليس من قلبه.. والحقيقة التي ترمي بظلامها عليها، وكأنها شبح المشنقة، فوق روحها المعذبة، هي بأنها رأت النيران تشتعل في عينيه. فالرجل، رغم مسامحته لها، ورغم حبها له، يكرهها ويحتقرها.

كانت ضربة كذلك أن تعرف بأنها ألغت وإلى الأبد فرصة اكتشافها للحقيقة حول البانور. فبالرغم من أنها لم تعد تشك في أنه بريء من كل الأشياء الرهيبة التي آمنت بها عنه يوماً. إلا أنها بحاجة إلى أن تعرف القصة الحقيقية التي كانت وراء المأساة. ومن غير المتحمّل إدراكها أنها الآن لن تعرف شيئاً.

في يومها الثاني في الفندق، افتقدت قلادتها الذهبية، المهداة إليها من أمّها. فتشت عنها جيداً بين ممتلكاتها، ليس مرة واحدة بل عشرات المرات مفتشة في الوقت نفسه عن قطعة الورق التي كتب عليها آلن عنوانه ورقم هاتفه.

ابتسمت لنفسها وهي تجعدها بين أصابعها، متذكرة قول ڤيكتور، وكم كان محقاً بأن آلن ليس النوع المناسب لها، ورمت

العنوان. . لن تستخدمه أبداً. . وعادت تفتش عن القلادة المفقودة. . ربما تركتها في الڤيلا، وغاص قلبها للفكرة، ولو كانت شيئاً غير هذا لتركتها، لكن القلادة هدية عيد ميلادها الواحد والعشرين؛ هي متعلقة بها بشكل مميز. لم يكن لديها سوى حل واحد. . أحبت هذا أم لا، يجب أن تتصل بالڤيلا لتحاول استعادتها.

اتصلت في الصباح التالي، تدعو الله أن لا يرد ڤيكتور عليها، وأحست بالارتياح حين سمعت صوت ماريولا. بعد تبادل قصير للتحيات، شرحت لها ليجي مشكلتها، وسألتها إذا كان بإمكانها إجراء تفتيش سريع، فإذا وجدتها، ربما تستطيع إيصالها لها، دون أن تحتاج إلى زيارة الڤيلا.

لكن، مثل هذا الحل الذي لا ألم فيه، لم يكن ممكناً. فقد عادت ماريولا بعد دقائق لتقول:

ـ أنا آسفة. . ليس لها أثر. . آنسة. . أعتقد من الأفضل أن تأتي بنفسك لتفتشي عنها.

ثم أكملت:

ـ لقد خرج سيد ڤيكتور لتوه وأخبرني أن لا أتوقع عودته قبل الغداء.

إذن لا شيء يمكنها فعله سوى هذا. . ووافقت على مضض قائلة إنها ستصل بعد ساعة.

استأجرت سيارة تاكسي من أمام الفندق. ثم طلبت من السائق التوقف عند مكتب البريد أولاً. فقد تجد رسالة من البوغل؛ تأكيداً لاستلام البرقية التي أرسلتها. إضافة إلى أنها كانت تتوق إلى أي شيء يؤخرها، ولو لوقت قصير، عن عودتها إلى الخليج الفضي.

وجدت لدهشتها بالفعل رسالة تنتظرها في مكتب البريد. . وقررت أن تقرأها فيما بعد، حين تكون أكثر هدوءاً، ووضعتها في

حقيبتها، وعادت إلى التاكسي. الآن لم يعد هناك أي عذر. أحبت ذلك أم كرهته، وقفتها التالية ستكون في الڤيلا.

الرحلة استغرقت أقل من الوقت المعتاد، أو هكذا خيل لليجي، على الأقل. وسرعان ما كان التاكسي ينعطف إلى الممر الداخلي المألوف والمؤلم الذكرى للڤيلا.

قالت للسائق:

ـ انتظر. . لن أغيب أكثر من بضعة دقائق.

أسرعت صاعدة على السلم الخشبي، ثم عبر غرفة الاستقبال إلى غرفة النوم، عيناها مركزتان إلى الأمام، تعرف أنها لن تجرؤ على النظر حولها، كي لا يغمرها ألم الذكرى، ويشل حركتها.

في غرفة النوم فتشت طاولة الزينة حيث توقعت أنها ستجد القلادة. . لكن، وكما أصرت ماريولا، لا أثر لها.

بقلق، فتحت باب الخزانة، تخشى المظهر والرائحة التي ستواجهها. . التعاليق الفارغة حيث كانت ملابسها، والعطر الرجالي المألوف، الملتصق بالهواء وكأنه ذكرى حلوة مرة معذبة؛ إلى صف البنطلونات والسترات والقمصان. ولو أغمضت عينيها، فسيكون إلى جانبها دون شك.

التف الألم مثل ملزمة الخشب حول قلبها، وبنفاذ صبر، فتحت عينيها الغبيتين. . لم تأت إلى هنا لتعذب نفسها!

ولم يكن هناك أثر للقلادة هنا أيضاً، وبدأت تفتش وتدور، مواصلة مهمتها المؤلمة. من زاوية عينها، التقطت لمعان شيء معدني على أرض الخزانة، فانحنت يغمرها الارتياح لتجد قلادتها في الزاوية.

على الفور التقطتها، إذن هذا العذاب كله لم يكن دون جدوى على أي حال! ثم أسرعت بالخروج، متجهة إلى الشرفة؛ يائسة

لتهرب.

لكن، وقفت فجأة عند أعلى السلم.. من الفظاظة أن تدخل وتخرج دون أن تكلم مارولا.. فاتجهت إلى المطبخ، تنادي:

ـ مارولا! أنت هنا؟

أثبت تفتيش سريع أنها غير موجودة، لا شك أنها في الحديقة تعلق بعض الغسيل وتتحدث مع الجناتي. ضربت ليجي على زجاج النافذة لتلفت انتباهها، فلوحت لها مارولا بابتسامتها المشرقة العادية، وأشارت إليها أنها ستدخل في لحظات.

متنهدة، استندت ليجي على الطاولة، وحثت نفسها على الاسترخاء، مهمتها تمت بنجاح ولا سبب يدعو لقلقها. فالساعة تجاوزت العاشرة بقليل، ولن يعود ڤيكتور قبل وقت طويل.

فتحت حقيبتها لتضع القلادة، وبينما هي على وشك إقفالها مجدداً، وقعت عيناها على رسالة «البوغل» فأخرجتها تفتح المغلف.. من الأفضل أن تلقي عليها نظرة وهي تنتظر مارولا.

بعد دقائق، وبصمت مصدوم، وكانت قد قرأت نصف الوثيقة المطبوعة على الآلة الكاتبة.. ومع أن عينيها بقيتا تقفزان إلى الكلمات مرات ومرات لتتأكد أن ما قرأته صحيح، إلا أن دماغها كان غير قادر، وبعناد شديد، على استيعاب القصة الوحشية المكتوبة هناك.. ترنحت متجهة إلى الباب، ودفعت أجرة التاكسي، ثم عادت إلى المطبخ وجلست منهالكة في كرسي. فهي فجأة لم تعد مستعجلة على الرحيل.. أو بالأحرى لم تكن لديها نيّة الرحيل أبداً.

نظرت مجدداً إلى ساعتها.. تجاوزت العاشرة والربع، لكن لو اضطرت إلى الانتظار حتى يوم القيامة، لن تتحرك من هذا المنزل إلى حين عودة ڤيكتور.

ثم، ستطلب تفسيراً كاملاً عن محتويات كومة الصفحات،

والتي لا زالت تحس بخشونتها وكأنها البارود في يدها.

دخل ڤيكتور من الباب الأمامي، قبل الواحدة بقليل، وتردد في سيره قليلاً وهو يلمح ليجي منتظرة في الردهة.

ـ إلى ماذا أدين بهذا الشرف غير المتوقع؟

لكن لا شيء، ولا حتى إبرازه للعداء، يمكن أن يثبط عزمها الآن. كانت، على التناوب تجلس على الكرسي في المطبخ أو تذرع الردهة، خلال أكثر من ساعتين ونصف. عيناها الرماديتان ثابتتان، فمها خط مشدود.. رفعت الرسالة في يدها، وقالت:

ـ أريد تفسيراً لهذه! لقد أرسلتها لي كاتبة مقالات الشائعات في البوغل.. وكلها عنك وعن البانور.. وأريد أن تقول لي إنها غير صحيحة.

لم يتنازل لينظر إلى الرسالة، بل نظر إليها ببرود:

ـ أرى أنك لا زلت على اتصال مع هؤلاء الناس.. ظننتك قلت لي إنك أنهيت علاقتك معهم؟

بدأت ترتجف فجأة، ضغط الساعتين الماضيتين أثر على أعصابها:

ـ هذا صحيح، لكن، يبدو أنهم أرسلوا هذه الرسالة قبل وصول برقيتي، ولقد بقيت في مكتب البريد ليضعة أيام.

نظر إليها مطولاً:

ـ تقولين إنها تحتوي على معلومات عن شقيقتك؟

ـ معلومات عنك وعنها. ولا أستطيع تصديقها.

ـ أعطني إياها، من الأفضل أن أقرأها.

أخذ الرسالة من أصابعها المرتجفة، ثم وضع يده على مرفقها، وقادها بلطف وثبات إلى غرفة الجلوس. رجاها أن تجلس، ثم، صب لها فنجان قهوة جاهزة:

- يبدو أنك بحاجة لشيء تشربينه.

ولم يكن هناك شيء أكثر صحة من كلماته، فقبل أن يدخلها إلى هنا، كانت تخشى أن تنهار ساقاها تحتها. الآن، والسائل الساخن يسري في حلقها يدفيء معدتها ويعيد أحاسيسها إلى الحياة، كانت تحس بصدمة خفيفة، وكثير من الارتباك.. وكان عليها أن تتمسك بذراع المقعد لتبقى مستوية في جلستها.

كانت عيناها مثبتتان على وجهه.. وهو ينتزع الصفحات من المغلف، ويبدأ القراءة. وهي تنتظر بلهفة تعليقاته، كانت تعي بمطرقة تضرب بدلاً من قلبها، وبالخفقان الموقّع الكليل للدم في عروقها.

أنهى فيكتور قراءته.. بعدما بدا لها أبدية.. رفع نظره إليها ببطء، مما جعل قلبها يتحرك من مكانه:

- ما الذي دعاهم إلى إرسال هذا لك؟

هل يشك في مدى صحته؟

- هناك رسالة في مكان ما من المغلف. يقولون فيها إنهم تحروا عن القصة التي قلتها لهم، ويريدون مني تأكيد المعلومات التي قرأتها، وأنها تتعلق بنفس المرأة المدعوة الياتور.

ابتسمت متوترة:

- إنها لا تتعلق بها.. أليس كذلك؟ لا بد أنهم يخلطون بينها وبين امرأة أخرى.

استند فيكتور على وسائد مقعده، وضاقت عيناه وهو يلتقي بنظرتها الضيقة.. ثم تنهد ومرر يده عبر شعره الأسود اللماع، واشتدت خطوط وجهه بروزاً.

- أتمنى لو أستطيع قول العكس.. لكنني لا أستطيع.. كل كلمة مكتوبة هنا، صحيحة تماماً.

صدمت كلماته ليجي ككتلة جليد ضخمة متدفقة.. بذهول، أحست أنها دفعت بقوة إلى عمق مقعدها:

- لكن، لا يمكن أن تكون صحيحة! فحسبما تقوله الوثيقة، كانت شقيقتي مجنونة!

مال إلى الأمام:

- ليس إلى هذا الحد شيري.. أنت قاسية جداً. ربما كنت أنا أقرب من أي شخص آخر لها خلال الأحداث المؤسفة المكتوبة هنا عنها.. وبقيت كما كانت دائماً، لامعة، فائقة الذكاء.

صمت متنهداً، ثم تابع:

- لكن، كانت، ويا للأسف، مضطربة عاطفياً، قليلاً.

- قليلاً؟ أتسمي هذا «قليلاً»؟ حسب ما يقولونه في هذه الصفحات، كانت تدخل وتخرج من المصحات العقلية، وتقابل ما لا عد له من الأطباء، وما لا عد له من الخبراء النفسيين.. فكيف يمكن لك أن تجلس هكذا، وتقول إن هذا قليل؟

دون كلمة قرّب كرسيه منها، حتى أصبحا يجلسان جنباً إلى جنب، ثم أمسك يدها المرتجفة، وأجبرها على النظر إليه:

- دعيني أبدأ منذ البداية.. من الوقت الذي جاءت فيه الياتور لتعمل عندي. دعيني أقول لك كل شيء أعرفه.

أمسك يدها بشدة أكثر، وبدأ الشرح.

- كما تعرفين، جاءت الياتور للعمل في مؤسستي بعد طلاقها بوقت قصير. في ذلك الوقت لم أكن أعرف شيئاً عن ظروفها الخاصة. بدت لي وكأنها منطوية قليلاً.. لكنها كانت كفؤة وعاملة نشيطة.. لم يمض وقت طويل حتى بدأت أدرك أنها لم تكن منطوية فقط، بل تعيسة جداً كذلك. حين كلمتها، أخبرتني عن تحطم زواجها، وفشل كل علاقاتها الأخرى.

تنهد مجدداً:

ـ حاولت حثها على العودة إلى انكلترا، وظننت أن الأفضل لها أن تكون قرب عائلتها. لكنها رفضت، وأظنها كانت خجلة. أرادتك وأمها أن تؤمنا أنها ناجحة.

لم تقل ليجي شيئاً، لكن كلماته كانت تحوي صدقاً قاسياً.. فلطالما اعتبرت اليانور نجمة العائلة، محبوبة، محسودة لأسلوب حياتها المليء بالألوان. ولم تلمح مرة أنها تعاني من مشاكل.

أخذ ڤيكتور نفساً عميقاً، وبنفس اللهجة الآسفة أكمل:

ـ بدأت أدرك بمرور الوقت أنها تحتاج إلى مساعدة جدية.. كانت منطوية، فاترة الهمة، منعية دائماً، كما كانت تبدو على وشك البكاء. وكان لدي شعور رهيب بأنها تتجه نحو الانهيار، فأصريت على أن ترى طبيباً.. وأكد لي الطبيب شكوكي، وحولها إلى أخصائي في باريس. وهناك أقامت في المستشفى، ولو لوقت قصير، مجرد بضعة أسابيع، مرت خلالها في علاج ضد الاكتئاب. حين عادت إلى كورسيكا، بدت أفضل بكثير.. لكن نبع عن هذا نوع جديد من المشاكل.

هز رأسه بحزن، متذكراً تلك الأوقات، وبدا أن عيناه تبحثان في العمق في عيني ليجي.. وتابع أكثر أجزاء القصة رعباً.

ـ ربما السبب أنها أحست بالامتنان، وبكل تأكيد لم يكن السبب أنني شجعتها.. لكن، في ذلك الوقت.. ولسوء الحظ، بدا أنها بدأت بتطوير هوس بي.. كانت تلاحقني باستمرار بعينيها الكبيرتين الحزينتين.. ومع أنني قلت لها وبصراحة إن لا مجال لمغامرة عاطفية، وإنها بالرغم من جمالها، ليست من طرازي.. إلا أنها رفضت أن تصدق ذلك. لولا أنها كانت لا تزال تمر بعلاج خارجي في باريس، وكنت آخذها بالطائرة مرتين في الأسبوع إلى

هناك.. لأصريت، وبعناد أكبر، أن تعود إلى انكلترا. وصدقيني، كان هوسها يسبب ضغطاً كبيراً على أعصابي.

قطب وجهه وكأنه يسخر من نفسه:

ـ وبالطبع، لم يكن لدي فكرة إلى أي مدى وصلت بها الأمور. ولم أكن أعرف شيئاً عن القصص التي كانت تكتبها لك ولأمك حول حب وهمي وزواج قريب.

نظرت ليجي إلى عينيه، وعرفت أن كل كلمة من قصته حقيقية.. أخيراً حصلت على التفسير الذي طالما تاقت إليه.. لكنه قدم لها عزاء مريراً غير مريح..

تكلمت لأول مرة منذ بدأ قصته، بصوت خفيف ومتهدج، تسأل والغصة في حلقها:

ـ أتعني أنني حين جئت في إجازة، لم تكن تعرف أنها قالت لنا إنكما على وشك إعلان الخطوبة؟

ـ يا إلهي! لا.. ! لم أكن أعرف أبداً.! ولو عرفت، صدقيني، كنت أوضحت لكما الحقيقة.. حتى بعد رحيلكما لم أكن أعرف. في الواقع، لم أعرف بالأمر إلى أن أخبرتني أنت!

كانت المسألة كلها أضخم من أن تستوعبها ليجي.. كيف يمكنها أن تشك بوجود حقيقة كهذه؟ وكيف لها أن تفكر بأن هذا الرجل الذي سبق وأدانته على أنه سبب وفاة اليانور، كان في الواقع يحاول إنقاذها؟

أصغت إليه وهو يكمل قصته بمشاعر متشابكة من الأسف والخجل:

ـ اعترف حين قالت لي اليانور إنها عائدة إلى انكلترا، أنني لم أطرح عليها الكثير من الأسئلة. بل كنت مرتاحاً أنها ذاهبة وأحسست أن هذا أفضل شيء لها. أعطيتها عنوان أخصائي في شارع «هارلي»

لتتابع علاجها الذي كانت تتابعه في باريس. وقلت لها أن تبقى على اتصال بي. وهذا ما فعلته لمدة، وحين توقفت رسائلها، افترضت أنها أقامت حياة جديدة مستقلة لنفسها، ولم تعد تحتاج إلى الاتصال بي.

صمت بعد أن بدا في صوته ألم شديد. ثم تمالك نفسه وأضاف بلطف:

- أقسم لك أنني أحسست بالأسى حين سمعت أنها ماتت، وأنها أنهت حياتها بنفسها.

مالت إلى الأمام والقلق على وجهها مع سماعها لهجة تأنيب الذات في صوته.

- لكن، بكل تأكيد، بعد كل ما فعلته لها، لا يمكنك لوم نفسك؟

رفع عينين مريرتين لينظر إلى عينيها:

- ربما قليلاً.. أجل.. لقد فكرت دوماً أنني لو أخبرتك أنت وأمك حول انهيارها، وكل العلاج الذي تتلقاه لكتتما تمكنتما من مساعدتها، وكان بالإمكان منع مأساة موتها. السبب الوحيد الذي منعني من قول شيء، أن اليانور جعلتني أقسم على الكتمان، ولأنني ظننت، وربما مخطئاً، أنها، وكامرأة ناضجة، لها الحق بسرية خصوصياتها.

هذه المرة جاء دور ليجي لتضغط يده بلطف:

- اسمع، لقد أحببت أختي، لكنني أعرف الآن ما كانت عليه.. لقد كانت متكبرة فخورة ومستقلة، وربما أكثر من اللازم.. وما كانت لتسمح لأمي ولا لي أن نساعدها.. وكونها سمحت لك بمساعدتها كان معجزة.. لا أستطيع أبداً شكرك بما يكفي لأجلها.

تبللت عيناها بالدموع، وبتهور مفاجيء مالت نحوه تلامس

خده بشفتيها.

- لا أحد يمكن أن يغالطك في معاملتك لاليانور. كنت صديقاً طيباً، ومحباً لها.

ابتسم:

- شيري.. شيري!..

لكن ليجي لم تكن قد انتهت بعد، وسألت:

- لكن، لماذا لم تقل لي هذا من قبل؟ لماذا لم تقل لي ذلك اليوم حين رميتك بكل تلك الاتهامات السخيفة؟

مد يده ملامساً شعرها:

- صدقيني، كنت على وشك أن أفعل هذا.. لكن، تذكرت وعدي لاليانور أنني لن أبوح بكلمة عن هذا لعائلتها.

- تعني أنك كنت مستعداً لتركي أعتقد أنك قد تكون مذنباً، لمجرد وعد سخيف؟

أرجعت أصابعه شعراً ناعماً منفلتاً عن جبهتها:

- لم يكن وعداً سخيفاً.. بل كان جاداً.. وأخشى أن أكون من الطراز القديم، فأنا لا أنكث بوعدي بسهولة.

وضع خصلة الشعر وراء أذنها، وابتسم بلطف:

- أعترف أن ما حدث كان صدمة غير سارة لي.. وفوق الصدمة، كان اكتشافي لهويتك، وأن أكتشف أنك تلوميني لموتها.. أن تلومني عائلتها على انتحارها إمكانية لم تخطر ببالي.. لكن بعيداً عن عدم رغبتي في النكوث بوعدي.. أحسست أن إخبارك الحقيقة سيزعجك، وفي النهاية، لن يخدم غرضاً مفيداً.

فجأة امتلأت روحها عذاباً، بعد معرفتها كم أساءت الحكم عليه بقسوة.. وعلمها، بعد طول شك، انه رجل يستحق حبها.. نظرت إلى وجهه، وبصوت ضعيف، قالت له:

ـ لن تعرف أبداً كم أنا خجلة مما فعلته.. لكان فقط بالإمكان إلغاء!

نظر إليها طويلاً، لحظات دون كلام. يده لا تزال خفيفة فوق يدها.

ـ للأسف.. لا أحد منا يمكنه إلغاء الماضي.. لكن وكما سبق أن قلت لك، أنا لا أحمل شيئاً ضدك، إضافة إلى هذا، في اليومين الماضيين، أتيحت لي فرصة التفكير، وأظن أنني استطعت أن أفهم سبب ما فعلت. واضح أنك كنت تحبين شقيقتك جداً، وتؤمنين أنني أسأت لها.. على أي حال، أنا واثق تماماً أن الطريقة التي تصرفت بها، كانت على غير طبيعتك. أنا واثق أنك في العادة لا تنهورين إلى هذا المدى.

سارعت تؤكد له:

ـ بالتأكيد لا! كانت هذه المرة الأولى، التي أفعل فيها شيئاً كهذا، ولو من بعيد. وأؤكد لك أنني لن أفعل مثله مرة أخرى.

ـ أنا سعيد لسماع هذا. لذا، لا تعذبي نفسك، ما من ضرر حقيقي حصل..

ربت على يدها، ثم تركها وبدأ يقف عن مقعده.

ـ إضافة إلى أن لا شيء من هذا كان سيحدث لو لم أحاول إجبارك على التعاون معي.. لولا أنني لويت ذراعك بتهديداتي السخيفة الحمقاء.. والتي لم أكن جاداً في واحد منها.. ولكان كل منا قد وفر على نفسه الكثير من العذاب.

لحقت به بعينين مليئتين بالأسى وهو يستدير عنها، ويداه في جيبيه، ثم يقف لينظر إلى خارج الشرفة، عذابها لا يحتمل، وتعرف أنها لن تستطيع التغلب عليه.

ـ أيعني هذا أنك لا تكرهني؟

على الأقل معرفة هذا سيعطيها القليل من العزاء. بدا أنه يفكر بالرد، السكوت الطويل كان كيد باردة تطبق على قلبها.. ثم قال أخيراً:

ـ لا.. لا أكرهك.. على الأقل، ليس بسبب القصص التي قلتها عني للصحيفة. أؤكد لك تماماً أنني سامحتك.

قطبت في مواجهة الظهر العريض الذي يواجهها.. ماذا يقصد بحق السماء؟

ـ وهل لديك شيء آخر ضدي إذن؟ ألديك سبب ما لا أعرفه يجعلك تكرهني؟

ـ ليس الكراهية شيري.. تلك كلمة قوية جداً.. وفي مثل هذه الظروف، غير ملائمة تماماً.. وسيكون أكثر صحة أن أقول إنني خائب الأمل. أعاني من غرور جريح.

استدار نصف استدارة لينظر إليها، وتعبير سخرية بالنفس في عينيه:

ـ لا تقلقي.. سأتغلب على هذا.. فأنا أستحق هذا.

هو الآن، بالفعل يتحدث بالألغاز، مالت إلى الأمام في كرسيها يتملكها الفضول، ومرتبكة بشكل غريب.

ـ لماذا تحس بجرح لغرورك؟ ظننت غرورك في صلابة الحديد؟

استدار تماماً.. النور على وجهه يبرز تعبير قلق وضعف.. وقال:

ـ أنت إذن تعرفين القليل عن غرور الرجل شيري.. لا شيء في العالم أكثر منه فراغاً.. أن يكتشف الرجل أن المرأة كانت تخدعه، وهو غبي بما يكفي لأن يصدق أنها تهتم به قليلاً.. ولأقولها بصراحة.. كمن يتلقى ركلة على قفاه. لهذا لم أستطع تحمل وجودك معي، ولهذا أبعدتك.

أخرج يداً من جيبه، ومررها في شعره، هازاً رأسه.

ـ لكن، كما قلت لك.. أنا من أوقعت هذا على رأسي.

أخذ قلبها يخفق بسرعة دون مقدمات، وهي على حافة الكرسي ثم سألته بهدوء:

ـ لماذا تهتم إذا كنت أخادعك؟

دس يده مجدداً في جيب بنطلونه:

ـ لأنك كنت تسعين وراء الانتقام، وأنا على عكسك تماماً.

وقعت الكلمات أمامها كعرض ما.. وبقيت للحظات مصدومة لم تستطع الرد.. ثم، وبصوت أكثر بقليل من حشرجة متوترة، قالت:

ـ أنت مخطىء.. وتعرف هذا.. فأنا لم أكن أخدعك.

بقي مسمراً حيث هو.. من حولهما الوقت والكون توقفا فجأة.. ثم، حين تكلم كان صوته وكأنه قادم من كوكب آخر:

ـ لا شك أنك كنت تمثلين دوراً كي تتمكني من نيل ثقتي.. وتحصلين على قصة ما؟

جف فمها:

ـ بدأ الأمر هكذا.. لكنني اكتشفت سريعاً أنني لست بحاجة للخداع.. كل تلك المشاعر التي أظهرتها لك...

صمتت لتلعق شفتيها:

ـ.. لم يكن فيها شيء زائف.. كانت كلها حقيقية.

وصل إليها دون أن يبدو عليه أنه تحرك، ومد يده ليأخذ كلتا يديها.

ـ أتعنين هذا صدقاً؟

شدها لتقف أمامه:

ـ أتريدين حقاً أن تقولي إن الفتاة التي أحببتها لم تكن تسخر

مني؟

ماذا قال؟

ـ أتسمح أن تعيد ما قلت؟ أرجوك؟

رد فوراً:

ـ أحبك شيري.. وأحببتك منذ البداية تقريباً.

أخذ قلبها يغني على حين غرة، لا تستطيع أن تصدق:

ـ وأنا أحبك.

ـ شيري.. شيري..

وأطبق ذراعيه حولها يشدها إليه، شفتاه تسعيان إليها.. كل الحب والاحتياج اللذين كانا يحترقان داخله، أشعلا روحها بلهيب عناقه.

الآن.. وقد تلاشت كل العوائق وكل سوء التفاهم.. يمكن للحب أن يبدأ.

طارا إلى غرفة الجلوس.. وهما لا زالا ملتفين ببعضهما، روح واحدة في جسدين، يتبادلان كلمات الحب الهامسة، مع تعاظم أنفاسهما المتسارعة، يشدان بعضهما.

تلك اللحظات، لن تنساها ليجي أبداً، وستبقى تذكرها، وتثمنها طوال حياتها. إنها لحظات سعادة.. ثمينة جداً مثلها مثل حبهما الذي لن ينتهي.

وهما يحتضنان بعضهما، يدفئهما الحب، أحست بأصابعه تتشابك في شعرها المشعث، مرجعة رأسها إلى الوراء لتنظر إليه.

ـ أريدك أن تعرفي أنني لست معتاداً على هذا.

قطبت دون أن تفهم:

ـ وما هو الذي لست معتاداً عليه؟

ـ الوقوع في حب الشابات اللواتي يقترن اسمي باسمهن في

مقالات الإشاعات.

بدأت تضحك، فأمسكها بأصابعه:

ـ جدياً شيري.. أريدك أن تصدقي أن لا شيء من أية قصة قرأتها عني صحيح.

أظهرت خيبة الأمل:

ـ أتعني أنك لست العاشق العظيم الذي ظننته؟

ـ إذا كنت تعنين بالعظيم الجيد، فأجل.. أنا هكذا.

أمسك وجهها بين يديه، وأحنى رأسه ليثبت وجهة نظره:

ـ لكن، إذا كنت تعنين بالعظيم أنني عاشرت أعداداً كثيرة من النساء، فأخشى أن لا أكون الرجل الملائم. لقد خرجت مع الكثيرات في حياتي، لكنني لم أعاشر سوى القليل القليل..

لفت ذراعيها حول عنقه بابتسامة، وقالت:

ـ أصدقك.

وأسعدها أن تعرف أن هذه هي الحقيقة.

ثم استمر في خطف أنفاسها وهو يقبل شعرها:

ـ وأريدك أن تعرفي أنك الأولى التي تقدمت يوماً بطلب الزواج منها.

نسيت ليجي الأحاسيس لأجزاء من الثانية، التي كانت تثيرها عناقه لها.. وجمدت ذراعاها حول عنقه.. وبدا أن أنفاسها علقت لتخنق حنجرتها.

سألت بحشرجة:

ـ ماذا قلت بالضبط؟

ـ قلت إنني أريد الزواج منك شيري، أريدك أن تكوني لي، طوال حياتي.

نظرت إلى عينيه، ورأت فيهما الحب، والصدق، والقوة

واللطف، والحنان والرغبة. واخترقتها موجات سعادة دافقة إلى حد أنها أحست بالألم. وهي تنظر إليه كانت روحها تقول له:

ـ أوه.. نعم! نعم!..

شدها إليه في عناق شرس، وكأنه لا يريد أن يتركها.

وقال بعدها:

ـ سنتزوج قريباً.. لا أستطيع العيش دونك.. حالما نغادر هذا المكان، سنطير إلى انكلترا، ونشرح كل شيء وبلطف لأمك. أتظنين أنها ستقبل بي لو كانت مثلك تؤمن أنني المسؤول عن موت ابنتها؟

قبلت ليجي جبينه العابس:

ـ ستحبك كما أحببتك ما إن تعرف الحقيقة. وفي هذا الأمر، أؤكد لك أنك لست بحاجة للقلق.

ابتسم لها:

ـ لا أريد من أحد أن يحبني كما تحبيني أنت شيري.. ولا حبيب غيري يحبك سواي.. وسأبقى حبيبك إلى نهاية أيامك، وسأحبك، وألبي كل احتياجاتك.

سرت ارتجافة في أوصالها، ضمّت نفسها إليه.. وتمتمت متحدية بصوت أجش:

ـ أثبت لي هذا.

وأثبت لها ذلك، مرات ومرات.. وبقي يثبت لها حبه حتى آخر العمر.

***

liilas.com
rayqh

روايات أحلام

rayqh

على حافة الفجر

ظهر الرجل فجأة أمامها.. كان طويلاً وسيماً كعادته، لا مجال للشك في ملامحه القاسية، أو تصرفه المتعجرف.. ولعنت ليجي للمرة المليون منذ ست سنوات هذا الرجل الذي تسبّب بموت أختها الحبيبة..

كانت رؤيتها له سبباً في تنغيص رحلتها إلى ميامي، ولكن رغبتها العميقة في الانتقام قادتها إلى ارتكاب غلطة سخيفة، أوقعتها رهينة بين يديه، فهل سيكون مصيرها كمصير أختها؟ أم أنها ستجد طريقة لتجعل فيكتور دومارشيه يركع عند قدميها؟

www.liilas.com

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل.	الإمارات ٦ د.	مصر ٤ ج.	ليبيا
سوريا ٥٠ ل.س.	قطر ٦٠٠ ر.	المغرب ١٥ د.	اليمن
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ ف.	تونس ١,٥ د.	السودان
الكويت ٥٠٠ ف.	السعودية ١٠ ر.	عمان ٦٠٠ ب.	العراق